مصطفى ضو

الأحلام المُتمَردة

رواية

خيال

الأَحْلامُ المُتَمَرِدَةَ

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج - الجزائر-
0774465958
035865297
Khayaleditions@gmail.com
ردمك: 978-9931-06-643-9
الإيداع القانوني: سبتمبر 2024.

مصطفى ضو

الأَحْلامُ المُتَمَرِدَةَ

لقد بدأ الحب المكتوب... يفقد رواجه، ولكن صداه سيظل خالداً للأبد.

غاستون باشلار

الإهداء

يا ابن آدم... لا تكن أنانياً... إلى المرابطين داخل أُسرهم والصابرين على متاهات الزمن ورواق التيه... إلى مُتحدي مشاق ومتاعب الحياة لبناء مجتمع؟... إلى والدي طيب الله ثراهما.

أهدي نبضي الخامس

ابن البادية

م/ض

الحَالِمان

لملم الشتاء أغراضه للرحيل، وركب قطاره مسافرًا بعد أن كشر عن أنيابه واعدًا بالرجوع المؤكد.عاد الربيع بلباسه الأنيق وبثغر باسم ،ينشُدُ شجِي الألحان طرباً وسروراً ،حوَّل آسى الأيام لفرحٍ ومسرَّة وبعث من جديد أزهارهِ برائحة زكية.

زُفت له بشرى وعلت محياه ابتسامة الفرح والسرور لقد رُد بالإيجاب وقبول طلبه.

آه ... لقد استرجع شريط الذكريات مع والديه خاصة أمه، فانكأ له جرحاً غائرًا مرّت عليه عشرون سنة خلت عندما كانت تداعبه وتلاعبه وتقول له كلمات لم يعِ معناها، واليوم دمعت عيناه، بعد أن أصبح يدرك ويفهم ما يدور حوله... لقد كانت تمنى نفسها بأن ترى وحيدها تزف له عروسًا؟ مسح دموعًا اختلطت بين الفرح والحزن.

زفت له عروسه، وهو يكاد يطير من البهجة والفرح الغامر، انبسطت اساريره، وحقق حلمًا مزدوجًا. رغبة والديه والفتاة التي أحبها وتمناها عاش الزوجان الشابان حياة ملؤها الدفء العاطفي والمودة والمحبة المتبادلة بينهما.

مرت ثلاث سنوات على زواجهما حيث الحب الحقيقي لا يكدر صفوّهُ أية شائبة أو تنقصه مطبه.

إنها لم تنس حياة البؤس والشقاء التي كانت تعيشها، وما مرت عليه من مصاعب جمة والإهمال والتخلي الذي طالها نتيجة فراق والدها.

حينما بدأت فهم معنى الحياة، عاشتها متنقلة في بيوت عدة، وأسر وعائلات مختلفة فاكتسبت تربية متعددة ومتباينة وحرمت من التعليم بالإضافة إلى عاطفة الابوة وشعورها بالدفء العائلي.

مرت هذه السنوات كلمح البصر ووميض البرق، كان دائم التجوال بين الريف والمدينة لا يعكر صفوة حياتهما شيء لا مادي ولا معنوي، أغدقَ عليها بكل المشاعر التي فقدتها لتعيد لها ولو بعضا منها هكذا كان يدللها. فالزوج حالته ميسورة نظير ما تركه له والده من ثروة، عقارات وشركة خدمات متعاقدة مع مؤسسة استثمارية كبرى – حافظ على ثروته خاله الذي يعتبره كابنه لأنه لم يرزق الولد – حالتهما العاطفية يملأها الود والحب المتبادل فأنساهما كل ما عانَياه سابقًا رغد العيش الكريم والتفاهم والشعور بالأنس كلاهما للآخر.

طال انتظاره لرجوعه في منتصف النهار، بعد أن أعدت له وجبة الغداء وفيها كل ما لذَّ وطاب من أطباق شهية حيث رغبته وما يحب أن يتناوله من أطعمة.

رفعت رأسها وشاهدت الساعة الحائطية تشير إلى منتصف النهار والنصف اتجهت إلى الشرفة المطلة على موقف السيارات، لعلها تشاهده يَركُن السيارة في الموقف المعتاد، بل شاهدته ممتلئ عن آخره ماعدا الجزء المخصص لسياره زوجها.

جلست وهي تفكر في حبيبها وتأخره عن موعده وتداعب هاتفها على الطاولة، رن هاتفها تسمرت واقفة واتسعت حدقتَا عينها، واتجهت صوب الباب بحركة لا إرادية، قبل أن تضع يدها على مقبض الباب نظرت لشاشة الهاتف فإذا به ليست مكالمة واردة من زوجها واستمر في الرنين جلست قبالة مائدة الطعام المعد سلفا، ثم ردت الرقم خطأ، فلاحظت وجود مكالمة سابقة منذ ساعتين برقم زوجها، حدثت نفسها: كيف تم هذا ولم أنتبه؟ عاودت إليه مرات عدة ولم يستجبْ؟ الوقت يمر وهي تدور داخل المطبخ لا تعرف ماذا تفعل وقد تأخر حضوره.

تزاحمت أفكار ورودتها هواجس من هنا وهناك ربما حصل له لا قدر الله مكروه أو طارئ آخر منعه عن المجيء في الوقت المحدد نظرت من نافذة تطل على الطريق العام فشاهدت سيارة إسعاف مارة بسرعة وخلفها أخرى للحماية المدنية، أما في آخر مفترق الطريق لاحظت عدة سيارات متوقفة وأغلبها تحمل اللون الأبيض ولكنها لم تميز بينها لبعد مكان الحادث نسبيًا. انتابها قلق شديد وفقدت التركيز في التفكير و اضطربت – حتى أنها كادت تخرج من شقتها بلباس لا يليق – لأنها كانت تنتظر زوجها خطت خطوة واحدة خارجا فانتبهت لنفسها فرجعت سريعًا - أفقدها الجوع توازنها الحركي اقتربت من المائدة ثم تناولت بعض اللقيمات لتسد رمقها، كأنها ترميها خلفها لفزعها والشعور بالخوف الذي تَملكَهاتصدر وملك تفكيرها، راحت تلوك الطعام وعيناها صوب هاتفها تنتظر منه مكالمة على أحر من الجمر لتطفئ حالة القلق و الاضطراب الذي تعيشه لتأخره عن الحضور في الموعد المعتاد، جذبت كوب الماء، فسمعت رن جرس التنبيه المنزلي قامت مسرعة فسقط من يدها على البلاط فأحدث صوتا مزعجًا وتكسر تقدمت نحو الباب فوجدته مفتوحًا على مصراعيه.

آه ... لقد جاءت إحدى الجارات لتستطلع الامر بعد أن شاهدت الباب مفتوحاً، ولا وجود لأي صوت أو أحاديث أو حركة، شكرتها على اهتمامها ثم أغلقت الباب.

وقفت تنظر من الشرفة ناحية موقف السيارات فشاهدت قدوم كوكبة من المركبات وهي تدخل الموقف المجاور للعمارة التي تسكن في إحدى شققها. تنفست بعمق بعد أن لاحظت زوجها يركن سيارته في الموقف، أسرعت إلى الحمام أحذت قبضتين من الماء أو ثلاث على وجهها ونظرت إلى المرآة تعدل من شعرها لاستقبال حبيبها كما جرت العادة، وبدأت توضب طاولة الغداء من جديد رغم أن الوقت يقترب من العصر.

طرق الباب طرقًا خفيفًا نظرًا للإرهاق والتعب الذي بداخله، يريد أن يخفف من ردَة فعل زوجته، قامت مسرعة فتحت له الباب ودون مقدمات تسللت كلمات العتاب وهي تمشي أمامه أعطته بظهرها، كأنها تقول له لماذا كل هذا التأخر؟

وأردفت قائلة لماذا لم تهتم بي؟ حتى بمكالمة هاتفية أو أدنى شيء رسالة نصية للإطمئنان! كان صامتا لم ينبس ببنت شفة بعد، اتجه مباشرة إلى الحمام، أما هي بقيت جالسة تنتظر، عم الصمت كأنه الهدوء الذي يسبق

العاصفة! جلس قبالتها وهي غير مهتمة به كأنها لا تعرفه! أما هو قال كلمات مختصرة وهم بالأكل لأنه يتضور جوعاً قالها وهو يتناول اللقمة الأولى ثم التفت إليها: كُلِي يا حبيبتي شاركيني الأكل فلا يحلو إلا معك ولنتبادل اللقمة، وقال ايضاً: ما ألذ صنيع يديك – لقد كان نهماً وشرهاً في الأكل - قامت بحركة بسيطة كأنها تعدل من جلستها، فسرقت نظرة خاطفة له دون أن يُلاحظها، ثم قامت وذهبت إلى المطبخ أحضرت له قهوته وجلست في الشرفة المطلة على الشارع العام تنتظره حتى يفرغ من غداءه، وضعت كوبي القهوة على الطاولة إحداهما فارغ!

قال وهو قادم نحوها: كم أنت رائعة يا حبيبتي، أعتبر غداء اليوم أحسن وجبة قدمتها لي على الإطلاق منذ تزوجنا. ثم انحنى خلفها وقبلها وأرسل لها ابتسامة تبدو على ثغره.

قال لها: لِمَ كل هذا الصنيع المفاجئ منك يا حبيبة الروح؟ ثم صمت ينتظر ردها، انفجرت باكية وقالت: عبارات متقطعة وعيناها ممتلئتان بالدموع ناولها منديلاً ورقياً. وقال لها، لا عليك يا حبي ما الذي تغير وعكّر صَفّو حياتك؟

قالت له: لقد نسيتني ولم تهتم بي غبت كل هذه المدة وتركتني أنتظر دون معرفة أسباب غيابك، فراودتني الشكوك هل أصابه مكروه؟ أم يفي بوعده وتهديده بأني امرأة عقيم ، وقد مرت على زواجنا أربع سنوات، وأنت دائماً تبعث بإشارات توحي بحبك لصبي تداعبه وتلاعبه وتقدمه لأصدقائك وزملائك بأنه ولي العهد – كيف لا وحُلمك لم يتحقق بعد.

قلُ لي: أتريدني امرأة كصخرة يتكسر عليها كل شيء أليس لدي مشاعر وأحاسيس ومودة أعيشها مع من اخترته شريكاً لحياتي؟ اهكذا هو تصورك لعشرتنا. أ تزيد من تعاستي وما ألقاه من تلميح وتصريح وإيحاءات ورمي كلمات جارحة كأنها حجر تسقط على رأسي عن قرب؟! عندما أقوم بزيارة الأقارب القيرون لي هماً والتشفي بأني امرأة عقيم، لا تصلح لشيء؟ إلا لتحضير الموائد وتنظيف المنازل.

أهكذا تريدني؟ أم أنت متعاون معهم ويرضيك؟ إذن أتركني وشأني فلتبحث عن غيري لتُنجب لك الأبناء وتعيش حياتك الخاصة وتبنيها من جديد وأصبح لديك نسياً منسياً!

قال وهو يربّتُ على كتفها، أنتِ حبي الأول والأخير، أما غير ذلك فهو قسمة ونصيب ثم ذرف من عينه دموعا. فمسحها دون أن تلاحظ، لأنها لازالت في تفكيرها وحالتها السابقة والهلوسة التي تداخلت عليها بلا استئذان، بعد أن ربطتها بأحاديثها السابقة رغم تعقبه دوماً بأنه يمزح فقط؟ إلا أنها كامرأة مشاعرها وعاطفتها مرهفة تضع كل ما تسمعه على وجهه الحقيقي! وقال أيضاً اليوم مساءً سنخرج ونصاحب البحر وجماله – أراد تغيير تفكيرها ومزاجها المتردي لنعيش صفوة حياتنا يا غزالي! ثم ضمها إلى صدره رأسها تحت ذَقنه وأحاط بها بكلتا يديه أحست بدفء الحب والمودة رفعت رأسها قليلاً وبعثت ابتسامة مشرفة فتحت شهية عواطفها الجياشةعلى مصراعيها فرسم على خدها قبلة أخرجت جوادها وعمق مشاعرها.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً عندما إسْتقلاّ السيارة واتجها صوب شاطئ البحر القريب من الحي الذي يقطنان فيه، ركن سيارته بمحاذاة الشاطئ ومطعم يطل على البحر ، حجز طاولة مناسبة ليتمتعا باللوحة المرسومة على وجه البحر نتيجة انعكاس الإضاءة المنتشرة في المكان ومنظره الخلاب الآسر ووجود القمر الذي يرسم بوجهه الوضاء لوحة أخرى رائعة تكمل المشهد الرومنسي المغري...

تبعث بهجة وسروراً وتريح النفس، تناولا العشاء في هدوء وسكينة الا من صوت أمواج البحر بين مد وجزر، ولحن موسيقى يوحي بالفرح، انتقلا إلى جهة أخرى أقرب إلى الشاطئ وجلسا متلاصقين لوجود نسمات حقيقية باردة. وهمسا بعدها بكلمات وابتسامة متبادلة – حتى كادا أن ينسيا أن الوقت قد تأخر للرجوع. أمسك بيدها ولجآ إلى السيارة وملامح الغبطة والسرور تبدو على محياهما.

أويا إلى فراشهما وشعور الفرح والابتهاج يغمر وجدانهما بعد قضائهما وقتاً ممتعاً، أنساهما ما حدث سابقاً! أخذ نفساً عميقاً ثم تأوه فأثار انتباهها.

قالت له: كيف تغيرت هكذا بسرعة خاطفة؟.

رد قائلاً: والكلمات بالكاد تخرج من فِيه والغصة تخنقه لقد... ماذا حدث؟ لقد شاهدت امرأة قبل المجيء وهو سبب تأخري وكتمت الحادثة حتى لا أفسد مزاجك المتقلب دوماً كما عرفتك.

هيا قل لي ماذا حدث؟

آه... إنها كانت تنحتب بصوت مرتفع وجمع من الرجال والنساء يحيطون بها بين مُواسٍ وصامت، وبعض النسوة يشدُدنَ على يدها ويدعونها إلى الصبر والإيمان بالقضاء والقدر... آه ... لقد دهست مركبة تسير بسرعة جنونية ابنها

الوحيد الذي أنجبته بعد مرور 15 سنة على زواجها ووفاة زوجها منذ ثلاث سنوات. أحس بأن حلقه قد جف وتوقفت الكلمات عن الخروج، تغير جو الفرح والبهجة والسرور في لحظته إلى حزن وأسى، خيم الصمت بينهما.

ملأت الدموع مقلتيها وتساقطت بعض منها على الوسادة فبللتها، قبل أن تتناول منديلاً ورقياً وتمسح دموعاً سالت على خدها متواصلة كأنها سيول تشكلت حديثاً! ثم تنهدت بعمق شعر بها زوجها احتضنها وقال لها: لا عليك يا حبيبتي كل شيء بأوانه والمُقدر يكون والنتيجة من عنده سبحانه وتعالى، وسقطت من عينه دمعة لم يستطع إخفاءها ... نزلت دافئة على رقبتها فشعرت بمرارة آلامه ومعاناته والحب الذي يكنه لها.

قال لها: وهو يضع رأسه على الوسادة، نامي يا حبي وملاكي لقد تأخر الليل وارتاحي ولا تحملي هماً هذا قدرنا فلا تضيقي واسعاً، فالعسر سيتلوه يسر إن شاء الله.

رحلة الحُلم

مرت سنة عن الحادثة الأليمة كلما تذكرها أنكأت له جرحاً غائراً في أعماق وجدانه، ويزيد اشتياقه لطفل صغير يطفئ به حرمانه ويُمنّي نفسه وسامة تشبهه، ودائماً يواسيها بالأمل القادم ورجاءه عند الله أن يحقق حلماً طالما راوده ولا يفارقه كظله، لاحظ عليه الجميع الأقارب و الأصدقاء كثرة الصمت الا نادراً مع حركات العينين إلا في المناسبات العامة الاجتماعية والأفراح والأحزان، همه الأكثر إيجاد سبيل عاطفي مريح لشريكة حياته، التي جرحها ألمه وآساه انتظارا لفارس طال غيابه، والمحيط المحبط الذي يوشوش على هذا البناء المتراص بمقومات الحب والعطف والحنان والمودة المتبادلة، حيث يصنعان عالمهما الخاص الحالم رغم المنغصات.

جلسا مساءً يتجاذبان أطراف الحديث دون أن يخلو من ذلك الحلم! شاهدا معاً ومضةً إشهارية عبر جهاز التلفاز نادراً ما يحدث هذا لانشغالات الزوج – فلماً قصير يروج لمنتوج يساعد على الإنجاب، التفت إحداهما للآخر!! – كأنهما تحصلا على كنز – وبلغة العيون ودار الحوار بينهما

بعد فترة صمت لوحت الزوجة بابتسامة عريضة كأنها وجدت ضالتها، بادلها بأخرى مماثلة ولمسة خفيفة على ظهرها وكتفها ثم أطبق على يدها بكلتا قبضتي يديه وأخذ نفساً عميقاً، ثم بادرها وملامح الفرح والبشر تبدو على محياه.

قائلاً: يا حبيبتي ستنطلق رحلتنا.

وقال أيضاً: نحن نتخذ الأسباب وقضاء وقدر الله نافذ.

ردت عليه: ونعم بالله.

قال لها: آه لقد نسيت أن أتناول قهوتي حتى بردت.

قامت مسرعة حتى أحضرت له فنجانا آخر وأسارير وجهها منبسطة.

قالت: إنه يوم سعيد يا حبيبتي وإني أشعر في داخل أعماق وجداني أن عاطفة الأمومة تسري بين جوانحي.

قال لها: هذه الومضة ذكرتني بإلحاح سابق لدى أعز أصدقائي عندما كان يداعب طفليه أثناء نزولي ضيفاً لديه فقال لي بالحرف الواحد يا صديقي أن هذين الطفلين وُجدَا بعد قدر الله، خلال رحلة استمرت لخمس سنوات العلاج المتواصل وأنفقت كل ما أملك لأجل هذه اللحظة الفارقة وقال أيضاً (مواصلاً حديثه وموجهه لي):

لا تترك اليأس يدبَ إليك يا صديقي والعمر لا يتوقف فهو مار عجل قبل فوات الأوان، وأنت تعلم بأنك تزوجت قبلي، فلِم كل هذا التأخير البحث عن رحلة الحلم الذي يراودك كما قلت لي، هيا فلنبدأ هذا المشوار، ثم أخذ نفساً عميقاً وأردفه قائلاً، سأساعدك في هذا الأمل المرجو.

تناول فنجان فهوته وشربه دفعة واحدة، وقال لدينا زيارة لأحد الأصدقاء بعد دعوات عدة وجهها لي، بعد أن أكرمه الله بمولوده الأول كما يسميه ولي العهد! قالها وعيناه بالدموع لا يكاد يخفيها عنها.

قالت له: صبراً حبي أو لم تقل إن هذا قدرنا وإن مع العسر يسراً، اقترب منها ورسم قبلة على جبينها.

وقال لها: هيا أسرعي أنتظرك أمام مدخل العمارة.

ركبا السيارة وقال لها: إنه ينتظرنا بشغف هو وزوجته وطفلهما " البدري " قالها لأن كل المفردات والكلمات غابت إلا هذه المعاني المحببة لديه!

وصل إلى بيت صديقه رحب بهما، جلسا في غرفة الاستقبال وتجاذب أطراف الحديث العمل الصحة...

لقد كان صاحبه متردداً في بعض الأسئلة خاصة وأنه عرفه منذ أمد عندما كان معاوناً لأحد وكلائه في شركة خدمات خاصة به، قبل أن يستلم وظيفة حكومية ويتخلى

عن شركة الخدمات، شعر بالغبن والحزن والألم يعصره رغم مرور هذه السنوات ولم ينجب بعد؟ غير مجرى الحديث حتى لا يمس شعوره أكثر ويفتح له هذا الباب الذي بات يؤرقه ويزيد من ألمه.

لوح له بعبارات الرضى والامل وفي نهاية الزيارة قدم له الهدية (عطور ومكسرات) أما الزوجة فملابس للرضيع وعطور، قبل الانصراف والخروج والعودة إلى شقتهم، تقدم صديقه نحوه يحمل مولوده بين يديه ملفوفا في البياض.

قبله وقال له: باركه الله وجعله باراً بكما، تبادلا ابتسامة خفيفة وشكره على كرم الضيافة وودعه.

الساعة تشير إلى العاشرة مساءً، عندما ولجا إلى فراشهما والنعاس يخطفهما.

فقال لها: سيبزغ الفجر وتشرق شمس الحلم، ويزول هذا الهم والغم إنه رب كريم . نظراً للإرهاق العضلي والنفسي تركا الحديث عن رحلة الحلم إلى موعد آخر، ثم غطًّا في نوم عميق.

دخلت سهام أشعة الشمس غبر شباك النافذة مبشرة بيوم جديد، اختلطت الأصوات المختلفة بين صوت المحركات والمنبهات نظراً لأنها الزحام المروري في الشارع بين

غاد ورائح . على الرغم أنه يوم عطلة أسبوعية . كان كله حيوية ونشاط تناولا فطور الصباح ثم قال لها: يا حبيبتي اليوم سأذهب إلى أقرب صيدلية وأقتني ما تريدين!

عاد في الحين خالي الوِفاضِ.

قالت له: ما وراءك؟

رد قائلاً: وعلى وجه وجوم كبير أن هذا الدواء لا يقدم إلا بوصفة طبيب مختص.

وقال لها: تذكري أن اليوم لنا زيارة لأمك؟! ولنا موعد آخر مساءً لصديق العمر، وبالمناسبة هو طبيب قالها وهو متجهٌ بكامل جسمه في اتجاهها كأنه يريد أن يقول لها هو مفتاح الطريق الذي سنسلكه لهذه الرحلة.

تغيرت ملامح وجهها بعد سماع كلمة أمك! فأنكأ لها حزناً ومأساتها السابقة وجرحها النازف ألماً على من نسيتها كلياً رغم أن مسكنها غير بعيد؟

قالت له وهي تسرد بعضاً من قصة طفولتها، كبرت ولم أر لأبي ظلاً يحضنني أو رسم قبلة لظل أبي!

قال معاتباً: لا عليك دوماً يبقى الوالدان لهما المكانة الخاصة، فرضا هما مفتاح الخير والسعادة.

ترجلا إلى خارج العمارة ثم اتجه صوب موقف السيارات.

وضعت يدها على زر الجرس فتح الباب وأطل منه صبي صغير ثم رجع وقال: ماما ماما ماذا هناك! إنها هي؟!

قالت بصوت عال أدخلي خطت خطوتين والتفت وراءها كأنها فاقدة شيئاً

قالت لها: ماذا تنتظرين؟.

ردت بلغة منكسرة إنه هو دعيه يدخل وهي مدبرة في اتجاه معاكس.

قالت الام باستعلاء: لماذا لم تنبهيني بمجيئك عبر الهاتف أم أنك تتعالين عليا بما يملك من معك!

قالت لا: يا... قاطعتها بكيل من عبارات اللوم، لقد هتفت لكِ عدة مرات دون رد.

جلسا على نفس الاريكة وهي مقابلة لهما.

ثم قالت لهما: كيف حالك وأين ولدك وأطلقت لها رصاصة أم أنت مثل والدك الذي عاش بك أنت فقط!؟

ردت بخير والحمدالله والمقدر يكون. إيه. نعم لكنك من نسل ذاك الرجل العقيم، أنصُحك بأن تتزوج عنها امرأة ثانية مثل والدها الذي لا ينجب.

قال لها: يا عمتي الحياة قسمة ونصيب ثم قدمت لهما مشروباً وبعض الحلويات.

وقالت لهما: إن زوجي لا يقبل الزيارات ويحب الوحدة! . أرادت أن تصرفهما للخروج في الحين.

قال لها: متى يعود عمي إسماعيل؟ لأني سمعت أنه يعاني من مشاكل وصعوبات صحية حتى أساعده لأن الأولاد مازالوا صغاراً يا عمتي.

قالت: لا عليك سنتدبر الأمر، إذن هذا رقم جوالي أطلبيني متى شئت.

قالت لها: ألا تعلمي يا "أمي" بأن والدي قد توفي ولم أحضر جنازته لقد انقطع الاتصال به منذ أن افترقتما ورميتموني في الشارع لا لذنب إنما لغياب عاطفة الأمومة لابنتك الوحيدة منه والتي تقف أمامك الآن.

أتسمحين لي بالكلام: قالت وهي تخفض عينها أرضاً (كأنها مخطئة) واشارت لها بالحديث.

ها أنا يا "أمي" كبرت وأصبحت زوجة لرجل يقدر مشاعر المرأة أقسم بأني مدنية له بكل عواطفه الجياشة رغم أنه عاش يتيماً عند كفالة خاله الذي أكرمه . ليس لحاله وجاهه . بل لأنه ابن أخته وحفظ الأمانة وصانها ورضى بقدره لأنه لم ينجب فأكرمه الله بهذا الرجل النادر الذي رد له جميلاً واتخذه كوالده ثم أغرقت عيناها بالدموع ولم تستطع أن تكمل حديثها.

قالت لها أمها: بألفاظها المقتضبة بعنجيتها المعتادة عيشي حياتك بدون أولاد وابحثي عمن تربي قالتها بأسلوب تهكمي واستفزازي وغرورها اللامتناهي وافتخارها بالمال الذي تحظي به من زوجها "عمي إسماعيل" فهي تمني نفسها بأن تستولي على الثروة لتفتخر بها أمام الناس . ولا تدري ما هو القدر الذي ينتظرها! . قبل الخروج من المنزل قال لها بلغي سلامنا للعم إسماعيل.

غادرت منزل أمها كلها حسرة على تجلد وتصلب مشاعر ووجدان أمها ونظرتها ضالقاصرة للحياة.

طلبت من زوجها التوجه لأقرب مطعم لأن وقت الغداء قد أدركهما ولم يبق متسع لتحضيره، وفي المساء لنا زيارة أخرى قالت له.

عادا إلى شقتهما في حدود الساعة الثانية ظهراً ثم أخذا غفوة نوم ليستعدا لزيارة الصديق.

قالت له: وهي قادمة عند الباب لقد أخبرتني أن صديقك هذا هو مفتاح الطريق لهذه السفرية ولم توضح لي ذلك، وتركتني أطرح تساؤلات عدة؟.

قال: آه... لقد شغلت ونسيت أن أخبرك بأنه طبيب مختص في . قاطعته دون أن يكمل تخصص ماهو؟

قال: وهو يرسم ابتسامة على وجهه نساء وتوليد.

ردت: إن شاء الله خير.

ثم أردفت قائلاً: وكذلك زوجته ممرضة وهذا من حسن الطالع.

أخذت نفساً وقالت وأسارير وجهها منبسطة على غير العادة. هيا اتصل به قبل أن نصل حتى لا نفاجئه.

قال حاضر ونحن على موعده وهو ينتظرنا، والبشر تختلف في احترام المواعيد وصديقي منضبط ويقدس العمل والوقت.

قالت: لنسرع قبل غروب الشمس، ركن سيارته بالقرب من منزل صديقه وقال لها، أترين ذلك الرجل الواقف أمام الباب إنه ذاك.

استقبلهما بحفاوة بالغة وعبارات الترحيب والاستهلال وثغر باسم، ثم قال لهما: تفضلا بالدخول البيت بيتكم . الصديق هو طبيب في الاربعينات من العمر توطدت علاقته به لدماثة خلقه ومعاشرته وحسن معاملته .رحبت الزوجة بهما أيما ترحيب تبادلا التحية ونزلا كل منهما غرفة.

قال له: بارك الله لك في مالك وأهلك.

قال الصديق: كيف هي أحوالك منذ مدة لم نلتقِ ومصاعب الحياة كثرت وتغير تفكير الناس طغت المادة على الجميع.

وقال له أيضاً: أين هم أبناءك أو تركتهم في المنزل لوحدهم قد يفعلوا المخاطر في غيابكم فنحن الأطباء نقرأ كل شيء من الجانب الصحي.

تنفس بعمق وقال له: أحياناً ننسى الصداقة والمودة والحب بيننا وجعلها مصالح شخصية فقط قال: كيف ذلك يا صديقي؟.

تغيرت ملامح وجهه قليلاً لم أرزق يا صاحبي بالأبناء بعد.

تعجب منه وقال له: لماذا كل هذه السنوات ولا تعرف سبب ذلك مع الرضا بالمكتوب.

قال له: في الحقيقة صديقي المشكلة ليست مني إنما هي من الزوجة ولا أريد إحراجها وإخبارها بالأمر، فقلت في نفسي ربما نتخذ سبيلاً للعلاج وأنت أدرى بذلك ويمكن معرفة العلة والسبب.

قال له: عيادتي كلها لك ولزوجتك حدد لهما موعداً غداً ثم قال له، سنتخذ الإجراءات اللازمة.

هيا الآن نتحدث عن أمور أخرى، أعرفك محللاً ضالعاً وبارزاً في الاقتصاد والاستثمار آه ... يا صديقي فأنا أتعامل مع الأموال مباشرة.

لقد كانت سهرة ممتعة ورائعة معك يا صديقي، لدي سؤال وأعذرني على طرحه تفضل فأنت من الأصدقاء المقربين.

كيف حال علاقتك بزوجتك؟

رد قائلاً: دون تردد هي علاقة سمن على عسل تأهبا للخروج والعودة إلى شقتهما.

قال له: إلى الملتقى شكراً على حسن الاستقبال وكرم الضيافة لا لا شكراً على الواجب.

تصبحون على خيرولوح بيده قائلاً: لا تنس موعدنا غداً إن شاء الله.

قرة العين أو الحُلم

أوى الزوجان إلى فراشهما ودار بينهما حوار عاطفي قبل النوم.

قال يا غزالتي ألم اقل لك أن صاحبي هو مفتاح لباب سعادة غامرة لنا اكبر مما تعيشينه الآن.

قالت يا حبيبي وابتسامة البراءة تعلو ثغرها لقد غمرتني زوجته بأمل وتفاؤل أفضل مع اتخاذ الأسباب والباقي على الله.

قال لها: شعرت من كلامه مدى تعاطفه معنا وقد لمح لي بأنه سيقف معنا بكل ما يستطع سواء مادي ومعنوي.

قالت: لِنَنَمْ الآن وغداً يوم آخر.

قال: تصبحين على خير وسعادة وأمل وحلم لذيذ لحبنا والمودة التي بيننا.

استيقظ مبكراً كعادته ليناجي ربه فهو دوماً ما يسبق زوجته إلا نادراً.

أعدت الزوجة فطور الصباح وهما يستعدان للقاء الموعود وللطريق الذي سيسلكانه في سبيل هذا الحلم الرابض ويراودهما الأمل في تحقيقه.

سبقها ليحضر السيارة بالقرب من باب العمارة، صعدت وقالت باقتضاب كلمات لم يتسنَّ له سماعها.

فقال لها متعجباً!: ماذا هناك؟

قالت: لا شيء أدعو فقط.

وصل إلى العيادة في الوقت المحدد جلست الزوجة في قاعة الانتظار وذهب الزوج للتسجيل لدى مكتب الاستقبال، ما إن سمعت اسمه فقالت له وهي مبتسمة أنت مسجل الأول بادلها بابتسامة . وقال محدثاً نفسه لقد فعلها . شكراً

جاء دوره لدى الطبيب بعد التحية قال له، علينا أن نجري فحصاً معمقاً لها وسنبدأ بالتحاليل أولاً والأشعة بعدها ليتم التشخيص على أصوله وتأتي أخيراً رحلة العلاج، سلم له وصفة وقال: أحضر هذه التحاليل في المساء سأنتظرك.

غادر العيادة لإنجاز التحاليل المطلوبة والأشعة لزوجته عندما تسلم المخبري الوصفة.

قال لهما: أن هذا الطبيب مختص ومشهود له بذلك لأن كل من عالج لديه شفي وتحقق حلمه الذي أراده وأضاف قائلاً: . بعد أن طلب منه الإذن . كم من حالات أعرفها أو سمعت عنها تم تشخيصها وعلاجها كانت النتائج

إيجابيه وأشار إليه بالنظر إلى ذاك الصبي الذي يحبو هي إحدى العائلات التي عالجها ويوجد الكثير منها كما قلت آنفاً.

طلب من الزوجة أن تتبع إحدى الممرضات، اتخذ مقعداً في قاعة الانتظار وشد بصره الصبي والأحلام تتزاحم وتفكيره غارق فيها! والمخبري يراقبه دون أن يلاحظه انتابه شعور الحسرة والأسى لهذا المشهد الأبوي المؤلم.

قال له: سيدي سيدي لقد أخذنا العينات . في الحقيقة كان يود أن ينهي المشهد حتى لا ينكأ جرحه . المخبري الذي يعيش مأساة حقيقية فهو لم يتزوج أبداً رغم بلوغه العقد الخامس.

قال له: شكراً متى يتم القيام بالأشعة؟

رد قائلاً: هي الآن من غرفة الأشعة.

قال له مازحاً: سيكبر ابنك ويتولى مهنتك الولد نسخة من أبيه، أراد أن يصرف نفسه عن هذا الكلام الجارح لم يستطع، اصطنع الإنحناء خلف مكتبه ليمسح دموعاً كادت أن تسقط على سطح المكتب ثم قال له: عد مساءً لأخذ نتائج التحاليل والأشعة.

قال له شكراً لقد كنت لطيفاً معي.

غادر مخبر التحاليل عند منتصف النهار ليرجعا إلى شقتهما.

قالت له الزوجة، احضر لنا غدائنا.

ركن سيارته في موقف العمارة وأثناء صعوده في السلالم ردد على مسمعها.

إنه يوم شاق ومتعب وقالا مثلاً شعبياً (ما تحلا كان بعد مره) قالت له خذ حماماً وسأرتب طاولة الغداء.

جلسا متقابلين عم الصمت إلا من الأنفاس فغير صمت المكان صوت الملاعق كأن شيء ما سيحدث.

لقد تدخلت الأفكار السلبية والوساوس والهواجس لعبت بمشاعرهما ووجدانهما.

تنفس الزوج بعمق وقال: ألم تقولي إن قدرنا ينتظرنا وحلمنا يكبر ككرة الثلج!.

قالت: بابتسامة باردة كأنها تخفي شيء ما، لدي شعور قوي إحساس عميق بأني المشكلة ولست أنت قالتها وعيناها غارقتان بالدموع، أراد أن يغير مجرى الحديث.

فقال لا عليك حبنا أقوى من ذلك كله لا تحملي هماً أو تراودك خيالات مزعجة.

أحضر نتائج التحاليل والأشعة إلى عيادة صديقه الطبيب بادره بعد الاطلاع والقراءة لها يا صديقي وهو شبه

متردد . سأحيلك إلى طبيب آخر ليفحص حالة زوجتك أكثر وفي قرارة نفسه أن حالتها مستعصية ولا يمكن علاجها حسب خبرته ومعرفته بمثل هكذا حالات.

قال له: سنفعل إن شاء الله، ثم غادر العيادة وملامح وجهه يبدو عليها الحزن والانكسار رغم محاولاته إخفاءهما عن زوجته باصطناع ابتسامة كاذبة!

في طريق العودة أراد أن يفاجئ زوجته بهديه ليمسح بعض آثار الأسى والحسرة التي تكسو وجدانهما، حمل بعض الأزهار وزجاجة العطر فاخر المحبب إليها، وقابلها بابتسامة عارية من الحقيقة رغم حبه لها وقال يا غزالتي. وهو واقف بالباب ينتظرها افتحي الباب وأغمضي عينك ليقدم لها ما يسرها، تم هذا المشهد المسرحي المملوء بجزيئات الحزن التي دخلت في تفاصيله قالت له، شكراً يا حبي هذا هو صنيعك المميز وإني فخورة بك، برجل لم يبخل عليها بشيء توقفت قليلاً عن الكلام ثم قالت والغصة تكاد تخنق كلماتها إن حلمي الحقيقي مازال بعيد المنال وربما مستحيلاً.

قال لها: سيأتي ذلك اليوم ونفرح ونقيم حفلاً رائعاً وروعة جمالك وقلبك الطيب. علت محياها ابتسامة بريئة وردت لا نعرف ما يخفي لنا القدر رغم مرور هذه السنوات

وأنك لم تخبرني برد الطبيب، قال لها: لقد أحالنا إلى طبيب آخر، قالت متعجبة، طبيب آخر و لماذا؟. ألم تقل لي بأنه طبيب مختص وعارف بخبايا أمراض النساء والشاهد على كلامك ما قاله المخبري ؟! أراك قد نسيت أو بأنه مفتاح الحل أم تخفي عني شيئا ما.

قال لها: أن الطبيب الحاذق ذا الخبرة والمعرفة دائما يجتهد وقد يفشل في ذلك ومن مروءته وتفانيه في عمله ومع هذا كله هو صديق مقرب لي، نصحني بأن أجرب طبيباً آخر ربما نجد لحالتنا الحل قالها وهو يمسح على رأسها كأنه يحنو عليها كطفل صغير ثم قال: جربي هذا العطر وخذي هذه الباقة من الورود التي غيرت رائحة المكان وأصبح منعشا لتلاقي الأحبة . أراد أن ينسيها ما تعيشه في حلم يقترب من السراب وفي قلبه جرح مكتمل الأركان . بعد أن أشعره صديقه باستحالة الإنجاب لزوجته.

قالت له: يا حبي إن أملك والحلم الذي يراودك أراه قد تبخر.

رد معاتباً: وهل أنتِ أدرى بقدرنا؟

راودت الزوج فكرة ليخفف عن زوجته وينسيها ما تعانيه، فهي تحن للأمومة وقلبها يتقطع ألماً . حتى تصرفاتها تواكب الأمل الضائع في زمن غربة الحلم كان دائما يحدث

نفسه كيف السبيل لتجسيد هذه الفكرة في الواقع؟ ويطرح عدة تساؤلات قبل القيام بهذه الخطوة، كيف تتقبلها؟ والمحيط الذي تعيشه عاداته وتقاليد المجتمع في هكذا قضايا، التي تعتبر عند البعض من الأمور المسكوت عنها. قالها في نفسه أنها عاطفيه وحنينة ومرهفة الحس ترى هل تقبل بالفكرة التي طرحها على صديقه الطبيب؟.

قال له الطبيب: ربما تقبل حسب ما وصفت لي الحالة وما تعانيه وأسلوب حياتها وهو ما قالته لي زوجتي عند زيارتكم لنا، إنها روح متشبعة بالأمومة راضية بقدرها ماعدا ما يلحقها من استفزاز وتعيير وتهكم عند زياتها لبعض الأقارب.

قال له صديقه الطبيب: لمح لها قد تقبل ما أنت مقدم عليه لأنك تريد إسعادها ووفاء لحبكما، لتمحو أثار الحزن الملازم لها وأصبح جزءًا من يومياتها لا يفارقها وترك لها أثراً حتى عند خوفها حيث تهمس بكلمات أمي أبي وهي تبتسم!

عمت الغيوم السماء وصاحبها برداً وقطرات مطر خفيف ينتظرها جالسا في الشرفة لتعد له فطور الصباح واليوم عطلة لزيارة بعض الأقارب كما هم يقومون به من حين للآخر، لكن اليوم ستتغير الوجهة إلى مكان أكثر هدوءًا ورومانسية ليعيش الأحبة لحظات حالمة بأحلام وردية.

قالت له: وهي تحضر بعض الهدايا . أحيانا ترفضها شعورياً وتتقبلها ظاهرياً لحاجة في نفسها . أين الوجهة اليوم؟ أم قاطعها قائلاً: متيقن أنك لا تريدين الذهاب لتلك الجهة فهي صلة أرحام وفقط.

يا غزالتي: اليوم وجهتنا خاصة حيث الراحة والسكينة والهدوء وصفاء المكان ونقاؤه فلا منغصات، إنها الحديقة العامة المفضلة لديك للانزواء في ركننا كما تعودنا هل هذا يعجبك ويرضيك؟

قالت: كيف لا وأنت من اخترت وكادت دموعها تسبقها فأجلتها حباً وعطفاً لفارسها، ومراعاة له لأنه ذو حس قوي مازالت قطرات تتساقط مع نسمات خفيفة مصحوبة بلسعات البرد، وصلا إلى مدخل الحديقة ترجلا من السيارة ثم بحثا عن مكان مناسب غير معتاد عليه، يا له من قدر جميل قال لها وهما يتجهان ظل شجرة ورافه الظل في منطقة مرتفعة.

انقشعت الغيوم وأرسلت الشمس بأشعتها الذهبية على البساط الأخضر، فزادت اللوحة الطبيعة رونقاً وجمالاً أخاذا مناسباً للعاشقين والأحبة، وعم الصمت والسكون قليلاً قبل أن يتبادلا ابتسامة حقيقة ودخل في حديث زرع الامل والرضى بقدرهما المعاش.

قال: ألا تعلمي يا حبيبته الروح أن الحياة قد بسطت لنا ذراعيها، وبعثت لنا أمل العيش في حب ووئام وألفة في جسر يربطنا برباط وثيق، تفاءلي خيراً ستجديه لا تنظري لما يعكر صفوة حياتك ويبعثر مسارها!

تنفست بعمق وهي شاردة الذهن بعد ان شاهدت امرأة تمسك بطفلين وهما يصرحان أبي، أبي. حبست الكلمات وتوقف عن مواصلة ما كان يود توصيلها إليه رغم ما مهد له، أشفق عليها ربت على كتفها ثم مرر بيده صعوداً ونزولاً على ظهرها عدة مرات كالطفل المدلل وعند وضعه في مهده للنوم؟ التفتت إليه وقالت: كم أنت حانٍ عطوف أيها الزوج وآسر لقد سجنتني في قصر حبك وهي تمسح آثار الدموع التي غزت وجنتيها.

رد قائلاً يا له من حب يكبر ويسمو ويتطور مع مرور السنوات، قاطعته بكلمة آلمته كثيراً وتفاجأ بها ولم يتصور أن تقولها، إني كما تعلم عقيماً لم أنجب وكلفتك أموالاً باهضه دون جدوى و النتيجة شيدت قصراً للسراب!

وقالت: ابحث عن غيري، لقد تركت هذه العبارة (كرمية مصوبة من مسافة صفر في اتجاه القلب)، أحدثت زلزالاً في كيانه وجرحاً على جرح ونكأت له ما يقال هنا وهناك وما تردد على سمعه من قبل أقاربه.

أصبح الآن تائهاً بين عاطفتين لا يمكن الفكاك منهما حبه وعشقه لزوجته وحلمه المتأخر لطفل يلاطفه ويلاعبه! غار جرحه يكاد يقطع أو صال تفكيره ويحرق كنه حياته.

قال لها: ما هذا الهراء وما دهاك! تشجعي لا تتركي للشيطان أن يدخل ثالثاً في تفاصيل حياتنا، آنظري للأمام وشاهدي واقع الحياة بعقلك لا بعاطفتك، لماذا تعكرين ما تعيشنه اللحظة؟ والمستقبل مجهول يعلمه الخالق، قالت لم أتمالك نفسي وتعرفني لدي حساسية مفرطة لهذا الموضوع.

قال ما الحل؟ ويمكن ان نخفف وطأة هذا الإحساس والشعور بالتضحية والصبر واتخاذ المواقف الصائبة الأمور نراها بتفكيرنا الآني والسطحي هي مواقف خاطئة.

قال: أظنّك تشير إلى أمر يخصك وحدك وطريقة سالكة وسهلة فأقدم عليه ودعني وشأني وقدري هكذا أنتم الرجال! لا تنظروا إلى تضحية المرأة معكم، ففي أول الطريق الفراق أين حبنا؟ أين الامل الذي كنت دوماً تواسيني به وأين؟ وأين؟

قال لها لقد ذهبت بعيداً يا...

أرجوك لا تكمل سأقولها لن أتخلى عنك يا حبيبة الروح لا تفكري خارج الصندوق لا ترمِ نفسك لقمة سائغة نحو

الواد السحيق المحفوف بالمخاطر، عودي إلى رشدك وانتبهي لنفسك، فوصال حبنا متين ذقنا معاً وتجرعنا كأسا المرار خلال هذه السنوات عندما نفكر سوياً في هذا الامر الذي يشغل بالنا ونزيد من مراراته حين ما يفتحه لنا أقاربنا بحسن أو سوء.

لا عليك يا حبيبتي غداً يومُ جديد تحفه مسرات وأفراح لأن عقلك كبيرُ وناضج وتصرفاتك مبهجة وتفكيرك راشد في حالتك الطبيعية.

قالت له، أخبرني ما يسرني ويفرح قلبي كما قلت!؟

قال لها: متردداً وتكاد الكلمات تحبس في حلقه وأنفاسه متقطعة.

تغيرت ملامح وجهها وأصابها شبه عبوس وأحست بدوارٍ خفيف.

أصيب بذهول قائلاً ما لذي حدث حتى أراكِ في هذه الحالة؟. لا تتسرعي في اتخاذ المواقف بالتأني ولا تحكمي قبل المعرفة ما هكذا عرفتك يا غزالتي لديك الغيب وتتسرعي قالها بعد أن هدأت عاصفتها، واصغِي إليَّ جيداً فالموضوع خاص بنا الإثنين ولا دخل لأحد فيه ولا يهم الحديث بعده، إن حبي وتعلقي بك أهداني لاتخاذي هذا

الامر وسيسرك ويرضيك بلا شك، أنظري إلى الامام فنحن أحرار في حياتنا.

قالت له: هيا تأخرت في إخباري بهذا الامر لقد حيرتني وجعلتني شغوفة بمعرفته .

أشار إلى ورقة وضعها على الطاولة أخذتها بلهفة، كأن صيداً ثميناً وقع في يدها تغيرت ملامح وجهها انبسطت أساريرها واغرورقت عيناها بدموع الفرح، ثم قالت سامحني يا حبيبي إني أخطأت في حقك فأنت أصيل تقدر المواقف.

قال لها: موعدنا غداً لنعيش الحلم !؟

***

نزلت من السيارة وهي في لهفة وشوق ومستعجلة الامر وتنادي عليه تأخرنا عن الموعد.

جلست في قاعة الانتظار والشوق والحنين بملأ فؤادها أما الزوج فقد ولج إلى مكتب الاستقبال ليكمل الإجراءات الروتينية، ثم نادى زوجته لتوقع على حزمة من الأوراق دون أن تتطلع على مضمونها رغم طلب الموظف ذلك فردت بتلقائية المهم الأمر النهائي!.

طلب منها الانتظار قليلاً في قاعة مخصصة للمقابلة الشخصية تناهى لهما أصوات أطفال بين بكاء ومناغاه وضحكات!

لقد سرت بهذه الأصوات وتناغمت معها وتمتمت بكلمات غير مسموعة وهمست لزوجها وهي غارقة في حلم طالما راودها وهي تعيشه الآن سيدتي سيدتي انتبهت في المرة الثالثة نعم ماذا تريد؟ تفضلي احملها انتابها شعور غامر لحلم لذيذ تحقق لها ثم قالت هل من معلومات عنها؟

قال: كل البيانات والمعلومات الشخصية موجودة في هذا الملف فلتحافظوا عليه.

قالت لها: شكراً على حسن الاستقبال سوف نكون على قدر المسؤولية.

خرجت من مركز الإيواء تحملها من لفافة بيضاء، أسرع الزوج وفتح لها باب السيارة الخلفي وهي تنظر إليها بشغف وحرارة وتقبلها.

قال لها: لقد هيأت جميع المتطلبات اللازمة في ظروف ملائمة، وسترين المفاجئة بعد لحظات ضعيها على سريرنا واحضري من وقوعها أرضاً.

قالت له: آه لقد نسيت المهم يا حبيبي أين مهدها وخزانة لوازمها؟

اراد أن يصنع لها فرحاً آخراً اذهبي إلى الشرفة وداعبيها ولا تنسي حليبها.

بعد فترة وجيزة وضع المهد والخزانة داخل غرفتها وبألوان زاهية محببة لديها، وقال لها بعد أن حمل الرضيعة بين يديه أغمضي عينك وتمسك بي ورافقيني وضعها في مهدها والابتسامة تعلو ثغره هيا يا غزالتي افتحي عينيك.

قالت: واو ما هذا الجمال والروعة في اختيار الألوان ثم رسم قبلة عربون محبة لأنه أدرى بقيمتها وما تعانيه داخل أغوار وجدانها، ثم تمدد عل السرير وهو يتبعها بنظراته كيف أصبحت مسرورة كأنها لا تصدق هذه اللحظة العجيبة الفارقة في حياتها!

قالت له: إنها للحظة ماتعة لا تنسى كما أكرمتني ستكرم آجلاً أو عاجلاً.

سُر كثيراً وهو يشاهدها فرحة مسرورة بعد أن حقق لها حلماً، رغم المنغصات التي تغوص في أعماق تفكيرها.

الإعصار الدامي

عادت حياتهم إلى طبيعتها بوجود هذه الصبية التي تجاوزت شهرها الخامس، وبدأ التجاوب والعلاقات العاطفية تأخذ طريقها للتجسيد لهذه البريئة التي أنعشت حميمية العلاقة الزوجية أكثر. كأنهما جاءا لهذه الحياة من جديد وتذكّرا لقاءهما الأول وكيف استقبلا تلك الأيام الخوالي وعاشا لذتها وزهرة الحب التي كانت في ربيعها. ابتسمت لهما الحياة من جديد بظلالها الوارفة وعبقها يملأ المكان بعطره الفوَّاح، أوجدت عالمها الخاص الذي كانت تحلم وتتمناه! عالماً لم تصدق أنها تعيشه واقعاً لا خيالاً! مرت أيام حلوة سريعة كلمح البرق.

أصبحت تخطئ في التفريق بين الأيام، عندما يسألها زوجها يوماً مازحاً، هل نحن في النهار أم الليل؟ وبعث بابتسامة حب صاحبتها قهقهة خفيفة ثم قال، بل لا تعرفي حتى اليوم؟!. لم تعره أي اهتمام لأنها لم تكن متجاوبة معه، مسكها من يدها وجذبها لتنتبه، استدارت له وقالت: ماذا تريد؟ وهي توظب مهد وخزانة الصغيرة.

قال لها، أريد جزءاً من عالمكِ لماذا تتخلّين عني بسهولة؟ وهل نسيت أن اليوم هو لزيارة أقاربي؟

ردت كلمة أقاربي أكثر من مرة! وقالت آه يا حبي تعلم ما يلحقني من عبارات الأذى والتشفي واستهزاء مرافق بالتعبير المبطن، ثم تنفست بعمق وما ادراك؟ اليوم نحن ثلاثة؟

قال متعجباً: هل نحن نعيش لهم أو لنا حياتنا الخاصة!.

قالت له: تعرف أن المرأة مرهفة الحس وعاطفية وتغِيرُ كثيراً .

رد عليها: لِنَرْمِ كلامهم خلفنا ونعيش فحبنا أكبَرُ من ذلك.

قالت: وهي تحمل الصبية بين ذراعيها وتنظر إليها بحنانٍ اذهب أنت وحدك هذه المرة، وفي قادم الأيام سأرافقك.

قال: حاضر يا غزالتي ولكن؟

قاطعته قل لهم كل شيء ولاتُخْفِ عنهم لأنهم سيعرفون مع مرور الوقت وأنت لا تعيش عالم النساء!. سيقمن بزيارتنا فضولاً و....

قبل أن يتم حديثه معها سمع طرقاً على الباب قالت له، ها قد حضروا للزيارة دون موعد مسبق وهي متجة لتعرف من الطارق.

فتحت الباب فكانت المفاجأة ولم يخطر على بالها إنه

"عمي إسماعيل" وهو يحمل في يده ورقة وقال لها بصوت مبحوح ومخنوق أين زوجك؟ لقد وصلت هنا بشق الأنفس وكما ترين رجلاي لا يكدان يحملاني، إن المرض أنهك قواي.

قالت له: أدخل وارتَحْ قليلاً.

قال لها: من بالباب؟ تعالي إنها تبكي أوصدتِ الباب وقالت له اجلس ثم ناولته كوب ماء تقدم نحوه وقال: مرحباً "عمي إسماعيل" لماذا تتعب نفسك؟ لقد تركت رقم هاتفي عند زوجتك.

قال: لا عِلم لي بذلك ولم تخبرني حتى بزيارتك لنا بل عرفت من اِبني الصغير قالها بعفوية لقد حضرتما. فقالت له أمه وهي تنهه، ألم أقل لك لا تتدخل في أمور لا تهمك.

حسناً راحتك ثم ناوله الوصفة الطبية.

قال لزوجته: أعدي لـ "عمي إسماعيل" غداءه سأذهب إلى أقرب صيدلية ثم أعود لأخذه معي.

قال له: انتظرني سأذهب معك لا أريد أن أتعبك.

لا. لا قائلاً له: إن تعبك راحة لا تقلق إذن لِنتغدَّ معاً ثم نكمل مشوارنا و أوصلك إلى بيتك. قال "عمي إسماعيل" أثناء خروجه مستغرباً، لامرأة تلد مثل هذه الزوجة الصالحة الكريمة!؟

قال له: هذا حال الدنيا كالمثل القائل " النار تولد الرماد "هيا لنذهب ودعها وهو يدعو لها بالخير والبركة.

أوصل "عمي إسماعيل " بعد أن اقتنى له دواءه إلى بيته و ودعه على آمل لقاء قريب، أشار إليه ملوحاً بيده و الأخرى تمسح دموعاً لقهر يعيشه . رغم حالته الميسورة !؟

ركن سيارته بمحاذاةِ الرصيف القريب من عمارة يسكن فيها أحد الأقارب لزيارته، هاتفه ليتأكد من وجوده، أطلت زوجته من الشرفة و هي تمني نفسها بإغاظة وتعبير زوجته إذا كانت معه . هي امرأة ذات صوت خشن رجولي معروفة بالعجرفة والسلوك الشاذ . فشاهدته وحده فقالت لزوجها غداً سأزورها شئت أم أبيت!

قال لها: زيارة أمك المريضة ردت نؤجّلها ودعني وشأني. طرق الباب فتحت له وقالت: حسناً أدخل إنه بانتظارك وأين بقية العائلة؟ . لسنا غرباء عن بعضنا . كل حديثها يوحي للمكر والإغاظة قال لها: تعرفي أن الجو غير مناسب لصغيرتنا.

قالت: ها. ها. ها ووجهها عابس يتطاير منه الشرر سأزورها غداً.

مرحباً بك ومن معك، قالها وهو يتبادل الحديث مع قريبه عن أحواله وظروفه فقال له: كما ترى وتعرف.

هل تأتي غداً معها لزيارتنا؟ لا أستطيع لدي شغل يجب إتمامه وإن سنحت لي الفرصة سأقوم بزيارة حماتي المريضة في غرفة الإنعاش . تفاجأ بعبارته الأخيرة . أحس بدوار خفيف وضغط نفسي، قال مودعاً: مرحباً بكم زيارتكم تسرنا، عندما كان نازلاً في السلم يكاد يسقط فهو يتكئ على الجدار من حين للآخر، ولج لسيارته تناول دواء يحمله معه وشرب قليلاً من الماء شعر بانخفاض وطأةِ الدوار اتصل بزوجته حتى لا تقلق وقال لها: مسافة السكة فقط.

عاد في حدود التاسعة مساءً، دخل يتمايل من شدة التعب والإرهاق النفسي الذي أصابه نتيجة تأثره بمعاناة "عمي إسماعيل" وزوجته الغريبة المتعجرفة "قليلة العرف" كما يقال، ارتمى فوق السرير بعد أن قبل الصغيرة وهي نائمة. وقال لزوجته أريد ماءً أحس بأن حلقي تكاد تجف ثم زاد أنها غداً صباحاً ستزورك ومعها الشلة.

***

الطفلة المتبناة توفيت أمها و تخلى عنها والدها بعد ثلاثة أشهر من ميلادها، بعد رفض زوجته الجديدة لها حيث وضعها أمام باب المستشفى ليلاً!

شاهده حارس المستشفى ينزل الصبية ثم يلوذ بسرعة بسيارته السوداء الفخمة دون أن يتمكن من أخذ صورة للوحة الترقيم أو نوعها حيث لم يقترب من الباب المزود بكاميرات المراقبة، ووجدوا مع الطفلة قصاصة كتب فيها اسمها وتاريخ ميلادها و أن أمها متوفية دون ذكر والدها!

دار حوار بين الزوجين لتهيئة الجو المناسب للزيارة المرتقبة وكيفية التعامل مع ما يتبادر من استفزاز وتشفي والكلمات الجارحة المنتظرة منهنّ. قال لها: أكثري من الصمت واصطنعي الابتسامة وعدم إعارة كلامهم أي اهتمام هي جلسة وتمر، حافظي على مشاعرك، فهن يلعبن عليها ويردن التأثير لإضعاف شخصيتك وتسجيل هدفهم في مرماك.

قالت: ما هذا الطرق العنيف والمتواصل؟

قال لها: وهي متجهة ناحية الباب ومن يكون غيرهن؟

سمعت إحداهن ترد بصوت خشن أسرعي حتى الجيران فتحو أبوابهم قبلك وأردفت وهي تلج إلى الداخل كل الاسر لها أبناء والتفت لإحداهن وابتسامة الشماتة على محياها.

جلسنا في بهو الاستقبال وذهبت لتحضير الحلويات والمشروبات، فوقع بصر إحداهن على غرفة الطفلة ضحكت بصوت عال وهي تشير إليهن!

قامت المرأة ذات الصوت الخشن وهي تقول لها: أحضري لنا الصغيرة ثم اتجهت مباشرة إلى المهد و عيناها تتلصص وتمسح الغرفة من كل الزوايا كأنها محقق يبحث عن أثر الجريمة وقعت هنا!.

قالت لها: إنها نائمة ولا يمكن إيقاظها الآن . أرادت أن تصرفها كما اتفقت مع زوجها للتَقليل من عبارات التهكم والإغاظة . ثم أغلقت باب الغرفة.

قالت إحداهن بأسلوب تنكري ماكر إنها تعيش في الدلال كالملكة وهي وحيدة والديها، ونظرت لوجه الزوجة لترى مدى تأثرها بهذه العبارات النابية فلم تعرها أي اهتمام.

قالت أخرى: يا لها من طفلة محظوظة ستعيش حياة الترفه والبذخ وأردفت قائلة قبل أن يفد من ينافسها؟ . قالتها بمكر وكل الحاضرات يعرفن ذلك . ردت أخرى الامر سهل وهي تقصد تبني طفل أو طفلة أخرى، أرادت أن تغير مجرى الحديث وهي تعلم سوء هذه الزيارة، بأدب وأخلاق فاضلة أنهت هذه الريح الهوجاء.

رغم مقاومتها لكي لا تؤثر هذه الزيارة على حالتها النفسية ولكن . لأنها أصلاً مرهفة الحس سريعة التأثير نظراً لما كانت تعانيه في حياتها السابقة، تراكمت عليها المؤثرات

بدأ شرود ذهني لديها وترك الصبية وحيدة تبكي لبعض الوقت، وتغير ترتيب البيت فأصبح شبه فوضى . رغم أنها كانت منضبطة وشقتها مرتبة فكان زوجها يقول لها، في بعض الأحيان لا توجد مثلك في ترتيب وتنظيم البيت لدقته . كان يعتبر هذه الفوضى نتيجة لوجود الطفلة وما يتطلبه من عناية واهتمام حتى أنه أصبح يرتب الأشياء لوحده كما كانت تريدها، تفاجأ في إحدى المرات بأن وضعت كل ملابس وحفاظات الطفلة فوق مهدها مبعثرة فلما سألها لماذا هي هكذا!؟

قالت له: لتسهل عليَّ المهمة، ولكن اين سننام؟ أشارت فوق كومة الملابس!

دخله شعور غريب وانتابه قلق جلس مقعد قبالتها وهي تحمل الطفلة بين ذراعيها، وعيناها مفتوحتان على غير العادة، تناول الطفلة منها وأمرها ان تحضر لهما الغداء.

عندما كانت متجهة للمطبخ قالت له! إني أشعر بتعب وغثيان ولا أستطيع.

رد: سأكل ما توفر لدينا.

ساورته الشكوك بأن زوجته حالتها ليست طبيعية وتحتاج إلى رعاية نفسية.

اتصل بأحد أصدقائه وشرح له الحالة، وقص له تصرفاتها وقال له: سأمر غداً وأنظر في حالتها أكثر.

بات ليلته ساهراً أصابه ارق شديد، تفكيراً في زوجته وما آلت إليه ومصير الطفلة الصغيرة التي أصبحت جزءًا منهم وأنيسة لهما.

تفقد زوجته وجدها تغط في نوم عميق ملقاة على السرير دون لباس النوم قام بتغطيتها، وبحث عن الطفلة فلم يجدها للوهلة الأولى التفت يميناً ويساراً، ذهب مسرعاً إلى غرفتها وجدها نائمة بين كومة الملابس ورائحة كريهة تنبعث منها.

أخذها إلى الحمام وألبسها وأبعد كومة الملابس ووضعها داخل المهمد، أحس بحرارة تسري في جسمه تناول مهدِئا ارتمى على الكنبة الموجودة في البهو وتمدد عليها فغشيته غفوة من النوم، انتبه مذعوراً على صراخ وأنين تتبع مصدر الصوت إنه لزوجته اقترب منها، وجدها تهذي والزبد يخرج من فمها من حين لآخر وتضحك هستيرياً! كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحاً عندما وجدها على هذه الحالة المتقدمة من الاضطراب وغياب العقل، ناولها مهدئاً لعله يخفف عنها ما تعانيه انتظارًا لصباح.

مرت تلك الليلة بكل ما تحمله من مرارة وحزن وانكسار نفسي.

طرق باب أحد الجيران وسلم له الطفلة وقال له: سأعود اهتموا بها قبل المجيء، لبست الزوجة ملابسها المعتادة للخروج بها حيث أحضرها لها، لكن، هذه المرة ليست مرتبة ولا منسقة!! حتى أنها أثارت حفيظة من رآها لطريقة المشيء والحركات المصاحبة والضحك المستمر بلا سبب! قبل ركوب السيارة جاء صديقه المختص لمقابلتها فأشار عليه أن حالتها تطورت ومستعجلة ولابد من نقلها إلى أقرب مركز مختص في هكذا حالات

فقال له: سأرافقك لأسهل لك المهمة.

شده حزن كبير وآسى وهو راجعُ بعد ان أدخلت الزوجة للمركز المختص لعلاجها وتشخيص حالتها، بدأ يفكر في مصير الطفلة وكيف يتم الاعتناء بها هل يجلب لها مربية؟ أم يعيدها للمركز حسب عقد الاتفاق؟ أو يبقيها عند أحد أقاربه، استبعد الخيار الثالث لحاجة في نفسه أما الأول فكيف أجلب مربية أتعيش معي، و هذا مستحيل لأنها خلوة، أم أتركها تعيش في بيت المربية؟ وهي بعيدة عن أستبعد هذا الخيار كذلك، كل هذه الأسئلة والأجوبة جالت في خاطره أثناء طريق العودة إلى شقته.

ثم قال محدثاً نفسه إن مسؤوليتي الأخلاقية والقانونية تحتم عليَّ إعادتها من حيث أتت، قالها والإرهاق والتعب النفسي ظاهرُ على ملامح وجهه.

استعد لإعادة الطفلة وضعها في سريرها وغرفتها غير مرتبة وهي تحمل بعض ألعابها، وعيناها تتحرك في كل الاتجاهات كأنها تبحث عن شيء معين؟ . كان شارد الذهن مبعثر التفكير وقليل التركيز، عند بحثه عن ملف عقد التبني.

مرت لحظات انتبه على صوتها الملائكي و هي متعلقة به ماما بابا ودموعها الندية سقطت على ذراعيها فبللتها، نزلت عليه بنداءاتها المتكررة كالحجارة تسقط على بركة هادئة أو كرمضاء الهجير، مسح دموعه الحزينة والغصة تخنق كيانه، وقعت عينه على عيني الطفلة، لاحظ عليها البراءة كأن لم يحدث شيء من قبل فزاد تقطع قلبه، اصطنع ابتسامة بائسة استلها من وراء جرحه، ثم ضمها إلى صدره وأحاطها بذراعيه، فعاشت هذه البريئة لحظتها وتجاوب معها ثم قالت له: ماما ماما أحس بوهن وضعف يغزو أوصاله اغرورقت عيناه و أنكاه له جرحه النازف.

حمل حقيبة صغيرة ومظروفاً، نادى على الصغيرة فأتت بخطى متثاقلة. تجاوزت عامها الأول . أمسك يدها وهي تمشي كأنه يجرها أغلق باب الشقة ووضع الحقيبة على ظهره واحتضنها ونزل بها إلى خارج العمارة.

في حدود الساعة التاسعة صباحا أوقف مركبة أمام البوابة الرئيسية ثم نزل وتوجه مباشرة إلى مكتب الاستقبال، قدم ما داخل المظروف وانتظر قليلا والطفلة تمسك دمية صغيرة وهي تداعبها وترميها أحيانا على البلاط وعيناها تنتقل بين الدمية وما حولها ثم تلوح له بيدها وتبتسم، فيبادلها بالتلويح والابتسامة الكاذبة، زاد هذا المشهد من تعاسته وألمه.

استلم وصلاً فقالت له المكلفة أين الزوجة لأن العقد ممضي من الطرفين .زادا الجرح عمقاً وتغيرت ملامح وجهه . تمالك نفسه ثم أخرج ورقة كان قد سلمها تثبت ذلك! اعتذرت منه ونادت على الصغيرة ومدت لها ذراعيها لتحتضنها، أدارت لها بظهرها وتشبثت برجله انحنى ثم قبلها ومسح على رأسها وهو يقربها منها وأعطاها دميتها وصاحت الصغيرة وهي تتبعه بنظراتها البريئة بابا بابا.

كان مشهداً مؤثراً للجميع منهم من أخفى دموعه طأطأ رأسه و ثالث عض على شفتيه بقوة، أما هو أخرج منديلاً ورقياً ومسح به دموعه ولوح لها بيده مودعاً وهي تصرخ بابا... بابا... ماما... ماما حتى اختفى عن نظرها؟!

رحلة العودة

عاد منهكاً خائر القوى جرح تفكيره نازفُ يتألم ويتحسر جلس قبالة مهد الصغيرة وفيه بقايا أثاثها وألعابها أخذ قطعة منه وبدأ يمسح بها دموعه مع نحيب وأنين ويتمتم بكلمات، تَنِمُّ عن حزنه الشديد لفراقها وحال زوجته.

أخذ جرعة من دوائه وتناول غداءه الذي أحضره معه ثم غط في نوم عميق استفاق على رنين هاتفه نظر إليه إنها مكالمة واردة من الطبيب المختص المعالج لزوجته.

عاودَ الاتصال وطمأنه أن حالة زوجته مستقرة بعد أن قدمت لها بعض المهدئات، وأنها تحتاج مدة للعلاج والتشخيص وهو يتم عبر مراحل مختلفة ولفريق من المختصين ثم أنهى المكالمة على أمل اللقاء بينهما.

استعد للخروج والذهاب لزيارتها، ركن مركبته في موقف المركز واتجه لمكتب الاستقبال رافقته المكلفة بذالك وطلبت منه عدم الاقتراب منها.

لأنها تعاني من نوبات عنيفة، ويعكس ذلك النظر إليها من خلف قضبان النافذة الحديدية، التفتت نحوه وهي تضحك ضحكة هستيرية لم يتمالك نفسه سقطت منه

دموعه ويكاد يخفيها لكن حدق فيها جيداً ثم انصرف، وقبل خروجه قالت له المرافقة: اطمأن فحالات كهذه تكفل بها وعولجت وعادت إلى طبيعتها مع الوقت وقليل من الصبر والمرافقة الجادة

زاد عليه حمل ثقيل زوجته التي أحبها وأحبته، أصبحت فاقدة العقل لا تدري عن نفسها شيئًا، ووحيدتهما التي أرجعها من حيث أتت، ولج إلى شقته وحيداً وقع نظره على لوحة معلقة كتب عليها هذا قدرنا هي لوحة اشتركا في إنجازها معاً بعد مرور ثلاث سنوات على زواجهما جعلته يشعر بخفة وطأة الحمل تناول كوبا من الماء وهو جالس على الكنبة يفكر في مسار حياته بعد هذا التبعثر لثلاثتهم.

عادا إلى حلمه القديم وراحا يقلب صفحات أغواره أفاق على صوت آذان المغرب تهيأ للصلاة.

***

بعد انقطاع داما قرابة الشهرين عن الأقارب والأصدقاء، قام بزيارة أحد أقاربه و بالأحرى قريبه والذي زوجته صاحب الصوت الخشن دون موعدٍ مسبق استقبلته زوجته المتعجرفة الثرثارة و التي لا تعرفُ للكياسة أصولاً ما هذا الغياب الطويل لقد أخذت منكم كل وقتكم ونسيتم الأقارب ثم رمت عليه عبارات جارحة إننا نعلم كل

شيء لقد جنت لأنها لم تنجب و الطفلة اللقيطة رميتها في المركز!.

***

قال لها برباطة جأش وتأنٍ، ما هكذا الاستقبال أين زوجك ونادت عليه هيا. هيا. أسرع انه ينتظرك صافحه ثم قال له اجلس وانحنى قليلاً وقال له هامساً لا عليك فهي معروفة لدى الجميع.

***

أومأ له برأسه، وهي تقترب منهما تقول ها قد جاء فأبحث له عن زوجة ثانية، لأن زوجته أصبحت مجنونة وضحكت مستهزئة لقد فقدت عقلها وأصبح وحيداً بعد أن أرجعها إلى مركز اللقطاء، فهي ترمي كل الذخيرة الحية للمكر والحقد المت لبسها هكذا هي حياتها الشريرة.

***

بداءات تصطنع النصح و تغير المشهد إلى خيري، لقد رتبت كل شيء لتسقط الرجل في وحل آخر، قالت وهي جالسة قبالتهم العمر يمر فلا تتأخر عن الزواج و ابحث عن امرأة ولود؟

***

عادَ ليلاً وحيدا أحس كانه في زيارة لمقبرة، بدأ يفكر في كلام تلك المرأة؟.. يحدث نفسه لماذا لا أكرر الزواج وأنجب أطفالا وأسعد زوجتي بطفل من صلبي بعد أن تشفى . تشجع للفكرة.

***

هاتف قريبه وقال له، بلغ زوجتك لتبحث لي عن امرأة ولود كما قلتِ. وأثناء المكالمة سمع صوتها الخشن وهي تقول من تكلم قال لها مبتسماً وهي مشدودة الوجه إنه قاطعته هات الهاتف ثم قالت له: هل لك مواصفات محددة لها قال أهم شيء كما قلتي امرأة ولود، أغلقت الهاتف في وجهه، وقالت لزوجها.

***

كانت تخفي ما وعدت به لامرأة من طينتها، اذهب لجارنا في حينا السابق وأطرق بابه للزواج فانه لن يخيبك وبنته طال لها الانتظار ولم يَأتِها أحد؟ . المرأة التي أرادتها زوجة له هي في الحقيقة من طينتها لأن أمها تحمل نفس صفاتها وزيادة من طمع وجشع وعبادة المال وأنانية لا تطاق كما يقال" الطيور على أشكالها تقع"، كانت تمني نفسها سابقا بعدما لاحظت العلاقة الحميمية والتفاهم والود مع زوجته إنها الغيرة بكل ما تحمل من معنى! وها هي الفرصة قد

جاءت لتبرد قلبها وتطفئ نارها المستعرة حقداً وكرهاً رغم ما تظهره من مآزره ومساعدة شكلية!

هاتفت زوجها وقالت له، دون مقدمات قل من الأخير ما هو ردهم!!!... إنها خطبت منذ يومين.

قالت صارخة: من هذا التعيس الذي أقحم نفسه في هذه المعركة الخاسرة.

قال لها: رجل يكبرها سناً وثري.

تحركت نوازع الشر وشيطانها يخطط لفسخ هذه الخطوبة والغدر الذي قامت به المرأة المخطوبة.

ذهبت في الحين مسرعة لتنسج قصة مفبركة ليفسخوا العملية من بدايتها. فهي أم المكر والخداع وماهرة فيه وتنصب الفخاخ وخيالها واسع للشر ولا يهدأ لها بال إلا إذا حققت الأهداف . قالت لهم إني ناصحة ولا ترموا ابنكم في نار رجل يستعمل ابنتكم كخادمة فهو زير نساء... آه... لقد أفسدت وانقطع الاتصال بينهم. غمرتها فرحة عارمة وهي تسجل الأهداف وتحقق ما تتمنى، ثم اردفت قائلة لهم لقد اخترت لابنتكم زوجاً على قدرها وهو كذلك ميسور الحال وحاجته أن "يعمر" وقد ارهقته زوجته السابقة رغم انها عقيم! رسمت لهم عالماً حالماً جديداً حتى يوافقوا! وفتحت لهم بابا تعرف أنه المدخل لديهم فقبلوا الأمر.

بعد الالحاح والطلبات المتعددة من الاهل والاقارب وبعض الأصدقاء بأن يعيد الزواج مرة ثانية. أنه لم يعارض بل قبل بالفكرة فيحينها عند أحد أقاربه. قالت إحدى النساء القريبات لعله ينجب "عميرة" وهي صادقة في قولها، حيث كان حلمه الذي لا يفارقه كالطيف قالت أخرى!...

تجمعت لديه قناعة بين ثنايا الامل والرجاء والحزن والآسي فقد العزم على الامر، سارعت تلك المرأة بعد إفساد الخطوبة الأولى إلى طلب ابنتهم له.

تم الزفاف بسرعة بمقدمات بسيطة غير أثاث الشقة وسلم المقتنيات المتبقية لطفلة لإحدى الدور التي تهتم بالطفولة .لينسى ماضيه وما حواه من إيجابيات وسلبيات .وغير طلاء الشقة.

مرت بضع أشهر على زواجه فبدأت الحشائش الضارة تنبت من حوله وزوجته تسقيها بمائها الذي يملاه وجدانها فهي في شهرها الثامن عن أول مولود لها. عم الفرح بيتهما لقرب اطلالته جلب كل المستلزمات للرضيع. لاحظت عليه بعض الفتور وأحياناً يكون قاتِلاً. سألته قائلة ما هذا الوجوم وبعض الحزن الذي يبدو على ملامحك وأحاديثك؟ وأنت تنتظر ولياً للعهد، كما كنت تتمنى وتحلم به.

رفع عينه إلى عينها فشاهدت دموعاً انحبست في مقلتيه.

فقالت له معاتبة: أنْسَ كل شيءٍ عش عالمك الجديد الذي طال انتظاره وغير ذلك اعتبره نسياً منسياً انها امرأة عقيم قاطعها قائلا: وبعبارات صادقة ذات مدلول ومعنى عميق أن الأصل لا يتغير مهما حدث له.

قالت له باستعلاء: وهل وجدتني في الطريق العام وجلبتني من أحد المراكز ؟! صمت مطولاً فقالت له: هلا شاركتني بما تفكر لكي أساعدك.

قال: لا شيء وأرسل لها ابتسامة تحمل عدة معانٍ.

غادر الشقة ليقضي بعض شؤونه ويتفقد محل الخدمات المتبقي بعد أن باع الأخرى نظراً لحاجته لعلاج زوجته السابقة ورحلة العلاج التي كان يعتبرها سراباً على سراب من بدايتها لكن! . وزيارة زوجته الأولى في مشفى الامراض العقلية والعصبية . وفي قرارة نفسه لا يود الذهاب حتى لا يتأثر وتظهر عليه ذلك لدى زوجته الفرحة بمولودها الجديد.

ان زوجته الثانية أقل جمالاً من الاولى وتختلف عنها في طباعها وصفاتها ومعاملتها فهي خشنة ترمي الكلام كالحجر لا يهمها صوتها رجولي إلى حد ما غير معتنيه بنفسها واناقتها كثيراً، عبدة للمال والجاه.

كان يتردد احياناً لزيارة زوجته في المركز التخصصي رغم تحينه الأوقات الهامشية منها، خوفاً من ملاحقة الوافدة الثانية بألفاظ لا تليق بالأخلاق والادب والعلاقات الزوجية مع تأكده بأن شفاءها قد يتأخَر، ولكنه يحن لحبها له والتضحية المتبادلة بينهما وما قاساه في بداية حياة الطفولة.

أقام وليمة للأصدقاء والاقارب فرحاً بمولوده "ولي العهد" كانت فرحته وسروره غير مكتملة وممزوجة ببعض المنغصات والتي بدأت تطفو على السطح.

قلت زيارته للأحبة والاقارب والذي كان مشهود له بها بصلة الرحم ويواسي الحزين ويبارك للفرح فوقعت أحداث نتيجة ذلك منها أن "عمي إسماعيل" قد توفي وزوجته ماتت نتيجة لحادث مرور.

فأصبح أبناؤه فاقدي الوالدين.

فكر إخوتها في زيارة أختهم بعد شبه انقطاع لان والدتهم كانت تمنعهم من ذلك!.

استقبلتهم زوجته بشيء من الغلظة والتهكم وقالت لهم: اذهبوا لها فقد فقدت عقلها وهي نزيلة مستشفى الامراض العقلية والعصبية.

هيئوا نفسهم لعيادتها وهم يمنون أنفسهم بكلمة صدق منها تعيد لهم أمل الحياة من جديد نظراً لما عاشوه سابقاً، من جفاف عاطفي وبرودة مشاعر اتجاه امهم، تسابقوا فيما بينهم للفوز باللحظة الحاسمة للقاء معها كل واحد منهم أحضر هديته الخاصة لها! التقوا معها عبر الحاجز الحديدي. لكنها لم تعرهم أي اهتمام فكانت المفاجئة الصادمة، قال لهم المعالج المختص لحالتها بعد التشخيص سنعالجها وستشفى تدريجياً إن شاء الله. لأنها وقعت تحت ضغط شديد وهي تعيش حالة لا شعورية فبعث فيهم أمل العلاج والشفاء التام.

تكررت زيارتهم لها فأصبحت كل أسبوع، ولاحظوا تطوراً وتحسناً في حالتها، فاستبشروا خيراً.

قلت زيارته لها وأصبحت نادرة عما كان يقوم به سابقاً حيث كان يزورها اسبوعياً، أما الان أصبحت شبه منعدمة من الشهرين إلى الثلاثة، وفي إحدى الزيارات وعلى قلتها لاحظ انها بدأت تنظر إليه وهي صامتة تنطق عيناها بكلمات مع حركة خفيفة لشفتيها، فيبادلها بنظرة خاطفة ثم ينصرف.

بلغ طفله السنة الثانية وكثرت حركاته ونشاطه المفرط وينادي بابا... ماما ويستقبله عند الباب فيمد له ذراعيه ويحتضنه ثم يقبله . لقد كانت تعدم عليه هذه اللحظات التي سرقها من حلمه التائه في صحراء الامل . فتستعجله بالسؤال ما وراءك، وهل أحضرت ما طلبته منك؟ أم أنك قضيت وقْتًا مع تلك ال... فتشحنه بطاقة سلبية.

يرد عليها بلغة جافة بعد أن يضعه على الطاولة متى تعقلين وتكونين كالمرأة التي في مثل سنك؟ ويقول لها أيضا معاتبا: إن تصرفك يشبه إلى حد ما مراهقة في بداية حياتها.

تثور ثائرتها ويحمر وجهها وتنتفخ أوداجها وتقول عبارات يتخللها كلام مسيء كعادتها وهل أنا بنت شارع! أما الطفل فيتعلق برجلي والده الذي يقف قبالها وهو يصرخ خائفاً لشجار مستمر. يضع يده على رأسه ثم يمررها ويثني ركبته ليحتضه ويأخذه الى غرفته ليصنع له عالمه! يقدم له العابه ويعلمه بعض الكلمات وفي نفسه حرقة وغصة لهذه التصرفات الجافة المثيرة لمشاعر الطفل في المستقبل. وهو يردد أمامها إن ما تقومين به سوف ينعكس عليه إنه بريء لماذا تدهسين براءته؟ ولا تنتظري منه الكثير عندما يصبح شاباً يافعاً واحفظي هذا الدرس والأيام كفيلة بذلك.

أدرك الطفل ما حوله وعالمه المحيط به حيث بلغ ثماني سنوات ومطالبه كبرت معه وتوسع وسطه وبيئته الاجتماعية.

في نهاية الفصل الأول أرسلت معلمته دعوة للزيارة في المدرسة فقال الزوج لزوجته غداً عليك الذهاب الى المدرسة لمعرفة أسباب هذه الدعوة لأني مشغول لتكملة إجراءات بيع محل الخدمات نظراً لمحدودية دخله وحاجتنا للمال.

قالت له: إذن عليك بإنجاز الاتفاق الذي تم بيننا منذ ثلاث سنوات بتغيير السيارة فهي قديمة وعشت معها أسوأَ ايامك وغير مناسبة لنا.

خرجت مع طفلها صباحاً لتوصيله إلى المدرسة ومعرفة أسباب الدعوة للزيارة. . أُخبر الزوج على ان ابنه شارد الذهن وعديم الانتباه داخل الفصل الدراسي وكذلك عدم اندماجه مع زملائِه واللعب معهم في ساحة المدرسة من طرف المعلمة في احدى زيارته السابقة . ودار حوار مقتضب بين المعلمة والام وبخبرتها استنتجت أن سبب مشاكل ابنها أسرية وقد تتطور وطلبت منها مراعاة حياة ابنها النفسية لحاجته لعاطفة الامومة والاستقرار الاسري.

قالت لها: إن ابني ."ما يخصوا والو"؟ ثم أنهت الزيارة دون أن تقدم لها بعض الحلول والاقتراحات لتخفيف من معاناة ابنها.

تجمعوا على طاولة الغداء وطفلها عيناه ذات اليمين وذات الشمال كأنه يبحث عن شيء مفقود.

بادرته قائلة ما دخل المعلمة في حياتنا تقدم دروسها وكفى.

قال لها: هي لاحظت تذبذباً في نتائج ابننا وبعض الصعوبات في المتابعة داخل الفصل الدراسي. تناول الطفل هاتف امه وانزوى في غرفته ليعيش عالما جديدا بلا مراقبة، بعد ان قالت امامه ووالده يطلب منه تجنبه قدر المستطاع انه يعلمه ويجعله رجل المستقبل!

فانكفأ عن مطالبته بذلك، فأصبح يقضي الساعات خلف شاشة الهاتف

أصبح دخله المادي يكاد يوفر ضروريات الحياة من منحة المعاش وتكاليف علاج زوجته في المستشفى!

تحسنت حالة الزوجة وبدأت تسترد عافيتها شيئاً فشيئاً بعد أن لاقت مؤزارة ومتابعة ومرافقة من الطبيب المعالج واخوتها من أمها وتعهدهم بزيارتها وفي احدى الزيارات

طلبت منهم الذهاب والعيش معهم قدموا طلبا للمستشفى بعد أن لاحظوا ان زوجها شبه متخفٍ عنها لقلة الزيارة والاهتمام لحالتها قال أحدهم هامساً حتى لا تتأثر لقد نَسِيها لأنها لم تنجب له أولاداً . كان رد المستشفى صادما لهم وأخفوه عنها.

كثرت طلبات أم الطفل وتعددت وتوسعت رغم صعوبة الحالة المادية التي أصبحوا يعيشونها، طلبت احدى رفيقات السوء عليك بكثرة الطلبات لا تتركيه قد يتزوج بامرأة أخرى. والرجل لا يؤتمن؟! وتعيشي الفاقة ويتغير طبعه ويضيع ولدك!

أصبحت الزوجة الأولى ضعيفة القوى هزيلة وتمكنت منها بعض الامراض المزمنة وانخفض صوتها . ذهب ذلك الجمال والاناقة التي كانت مضربا المثل ومشهورة بالمرح وخفة الروح . وحركاتها بطيئة ولازمها الغثيان والدوار فهي تحتاج الى المساعدة دوما.

رجعت لها بعض عافيتها أدركت ما حولها انهم اخوتها من أمهم فقالت لهم اين انا الان! فقالوا لها لقد أدخلت المستشفى بعد ان اصابك دوار بسيط وها أنت معافاة والحمد لله، تنهدت كأنها تسترجع الذكريات وأردفت قائلة أين هو؟ لماذا لم يأتِ معكم؟

قالت لها أختها انه مشغول سيأتي لا عليك المهم صحتك وحياتك فلا ترهقوا وارادوا ان يغلقوا الموضوع امامها باب الأسئلة لقد استلمنا رخصة مغادرتك للمستشفى وسنعود بك الى بيتنا، كررت نفس الأسئلة بصيغة أخرى وألحت عليهم طلبه للحضور.

مضت فترة من الصمت كصمت القبور على اسئلتها المتكررة وهم يحاولون اجتنابها، تشجع اخوها الأكبر للإفصاح عن الحقيقة المرة التي لم تكن لديها في الحسبان يا اختي كل شيء بمقدار وقدرنا ان نعيش مع بعضنا فقالت بكلمات مبعثرة هل مات او... فقاطعتها اختها انسي ما مضى وعيشي اللحظة ان الحياة قضاء وقدر، طلبت الماء ثم قالوا لها: هيا السيارة في انتظارنا لنذهب سويا ونعيش مع بعضنا ساعدوها على القيام ثم اتكأت واستندت على أختها.

كان الفرح بادياً عليهم وهم يقومون بشؤون اختهم التي أحبوها واحبتهم على الرغم من أمهم القاسية التي ارادت ان تفرق بينهم.

امتدت يد زوجته الثانية على كل مقتنياتها وحليها وقالت لزوجها: إذا طلب منك إحضاره قال لهم: لقد انفقتها في العلاج؟.

الدفء المفقود

تغيرت العلاقات الأسرية رأسا على عقب، بغياب الدفء العائلي وأصبح الطفل شبه مشرد وبوادر الانحراف وعلامته ظهرت عليه بإحداث القلاقل في البيئة الاجتماعية التي يعيشها مع جماعة الرفاق مع وجود بعضهم في ظروف

مشابهة له يقضون ساعات وساعات خارج مراقبة واحتضان بيوتهم لا حسيب ولا رقيب، نتيجة تخلي بعض الاسر عن مسؤولياتها. تعددت معاكستهم للمارة ومحاولات السرقة والاعتداء على بعض المحلات لحاجتهم الماسة للمال؟

تحولت المعيشة للانحدار والتدهور بيعت الشقة وأُجِّر المسكن، وقل دَخْلُ المحل الصغير المتبقي من العقارات السابقة! حتى اضحى العتاب هو سيد المشهد العائلي المتوتر والمتفكك أصلا لغياب ابنهما المتكرر.

تطور انحراف ابنهما ودخل العالم المحظور إنهاك في تشكيل عصابات للجريمة والاعتداء، لحقتهم قوى الامن في احدى المرات فقبضت عليه متلبساً بجرم عقوبته لا تقل عن ثلاث سنوات أودع السجن المؤقت قبل المحاكمة.

كلف والده محام لابنه وطلب من زوجته بعض المال المدخر في شكل حلي؟ تأففت وقالت، ان أموالي ليست للدفاع عن جرم ابنك!؟ . فقال لها: والحل؟ والا... قاطعته قائلة الا هي لا؟ الوقت غير كاف وعليا تدبر الامر إذن تبقت الا السيارة وهناك من يرغب في اقتنائِها على قدمها رغم التعطيلات المتكررة فهي أصبحت كالخردة.

كان زائراً له معها وجدا لهما الذي لا ينتهي ويتبعهما كظلهما هو مظهر من تفكك هذه الاسرة. اشارت له امه بيدها تجاوب معها بعينيه رفعهما ثم خفضها أرضاً. اما والده بادره بأسئلة متتالية بقى صامتاً لم يجب عن أي منها، قالت وهي دالفه للخارج يا بني كل هذا سببه والدك وتبعتها بعباراتها السابقة التي أكملتها في الرواق، قبل خروج والده اخرج يده بين القضبان ولمس أطراف أصابعه، فاغرورقت عيناه بالدموع ناوله والده منديلا ورقيا سحب يده وأشار اليه ملوحا بالوداع.

قضت المحكمة بالحكم عليه ثلاث سنوات سجن نافذة مع غرامة مالية واسترجاع بعض المسروقات.

اشتعل شعر الرجل شيباً وقلت العلاقات الحميمية بين الزوجين وأصبح شبه هجران احداهما للآخر.

واجتماع طاولة الاكل انعدم . كأن شخصية واحدة تعيش حالة انفصام فلا رابط بينهما وزيارة ابنهم تتم على حدى . هكذا أصبح يعيشان حياة مرة قاسية من شتى النواحي لا عاطفة أو علاقة أسرية ولا مادية تخفف عبئها.

مر شهران عن آخر زيارة، عنما جاء الوالد ليتفقد حالة ابنه بعد انقضاء هذه المدة والتي شارفت محكوميته على الانتهاء، اخيراً تكلم بعبارات مقتضبة انسلت من

أعماقه قائلا سامحني يا أبي هزت هذه الكلمة كيانه واسترجعت لديه شعوراً كان مخفياً فظهرت على ملامحه بعض البشرى. حيث غابت عنه هذه الكلمات بسبب تلك المرأة المتعجرفة ذات الإحساس الصلب والمعاملة الجافة فهي عبدة الدرهم والدينار كما يقال فلم تعطِ للحياة الاسرية أي معنى؟ وغلبته دموعه واللوعة التي كان يعيشها ليعبر على حبه وتعلقه به.

فقال له: لا عليك لقد سامحتك لكن؟ ردد مراراً أعدك يا أبي لن أعود؟

أما والدته خلال زيارتها الأخيرة قبل شهر من إطلاق سراحه، جاءت له متوسلة وترجوه وتطلب منه أن يتصرف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية كرفيقه السابق الذي أصبح ثرياً وحالته المادية.

ميسورة!؟ كررت طلبها مع نحيب وبكاؤها رق لحالها وانتكس لنزعته ال.... ظل خافضا عينه للأرض وهي تطالبه أرفع رأسك يا بني فلست أنت الأول والأخير هيا تشجع ولا تكسر خاطر أمك أجبره مهما كان الثمن قال بصوت جوهري مسموع: أعدك بذلك . فهما إحداهما الآخر ثم انصرفت.

فَهِمَا وأحيت أمه بزيارتها الأخيرة نوازعه السابقة حتى قبل خروجه وانقضاء مدة سجنه وشحنته من جديد رغم تقدمها في السن لقد تحولت الى عجوز شمطاء ولكن عادتها السابقة لم تتخلَّ عنها على الرغم ما عاشته من قافة واحتياج وما وقع لابنها الوحيد!

وقف أمام الباب الرئيسي لعله يجد من يستقبله لف المكان بالدوران حول نفسه ثم خطا بعض الخطوات وقفت سيارة بجانبه ثم ناداه لم يعرفه قدم نفسه آه... قال: أهلاً بك أيها الرفيق ثم تبادلا التحية والسلام، ما أجمل سيارتك واناقة ملابسك انها الأيام يا رفيقي وتبادل ابتسامة غير عادية تنم عن المكر والخداع، ثم ودعه للقاء آخر في القريب العاجل.

أخرج من جيبه ورقة وأوقف أحد المارة طالباً منه إجراء مكالمة هاتفية . الرقم لم يعد في الخدمة . استغل سيارة أجرى لتوصيله الى حيث يقطن والده! تفاجأ بالسكن الذي يشبه الاطلال الا من بعض الطلاء الذي يعث فيه الروح تناهي إلى سمعه صراخ وكلمات متتالية كأنها رصاصات استقبال الفرحة والعودة بعد إتمام العقوبة... انزوى جانباً أحس بأن حلقه قد جف فهو يحتاج الى الماء، انتظر قليلاً

وإذا برجل ذو بنية جسدية قوية من مظهره الخارجي وشوارب مفتولة بطرف الباب هيا افتحي الباب أنا صاحب الدار. تتبع المشهد بكل تفاصيله انتابه شعور غريب وزحمته هواجس عدة وهل فعلتها أمي؟ بعد أن سيطرت على والدي وأصبح مسيراً كسجين محكوم عليه بالمؤدب انتظر حتى النهاية دون ملاحظته حين يشاهد الرجل يلتفت يميناً ويساراً وينفذ دخان سيجارته في كل الاتجاهات، فتح الباب ودار هذا الحوار القصير بينهما.

اننا اليوم سنذهب ونفرح بخروج ابننا كما تعلم ولهذا ارجوك ان تعذرنا هذا الشهر قال: والشهر الماضي؟ ردت سنتدبر الامر قال لها بعد أن فتل شواربه هو نفس الموال والطلب للشهر الماضي وسأترك لكم فرصة أسبوع والا تخلوا البيت!؟ آخذ نفساً عميقاً وحذف الهواجس السيئة التي بناها في تفكير قبل نهاية الحوار.

أغفل راجعاً وتوارى عن المكان ليتدبّر الامر، اتصل بصديقه وطلب منه مبلغاً من المال: حمل معه بعض الهدايا، طرق الباب ثلاث مرات ثم عاد واتكأ على الجدار في انتظار عودتهم فغلبه النعاس.

***

أما الزوجة فذهبت عند بعض رجال المال والجمعيات تطلب منهم مبلغ تسديد الكراء والزوج ذهب الى السجن لاستقبال ابنه والرجوع الى البيت.

وصل الى بوابة السجن متعباً يجرجِرُ قدميه لاحظه أحد الحراس عند الباب قال له أن ابنك غادر منذ ساعتين! سأل بعض المارة في عين المكان لم يتحصل على أي معلومة ترجل قليلاً مطأطئًا رأسه استوقفه شابُ في مقتبل العمر ما بك يا عم؟ هل وقع لك مكروه كسرقة أو مرض. قال: لا إن ابني فسبقته دموعه عن الكلام والغصة تخنقه خرج منذ ساعتين من السجن ولم أجده ربما عاد الى أفعاله؟ ورفقاء السوء في انتظاره ويترصدونه في أي لحظة.

وجده متكئًا على الجدار يغط في نوم عميق.

حدث نفسه قائلاً عليَ الانتظار وألاّ أوقضهُ.

راح يسرد مسار حياته رغم قصرها كيف عاش طفولته بين الفرح والسرور والانهيار الاجتماعي الذي عاشه داخل أسرة مفككة والمنغصات التي جعلت منه رجلاً قبل ان يعيش مراحل عمره كأترابه، وكيف تحولت من نعيم وترف الى بؤس وشقاء وفقر مدقِع ثم عقاب وتمتم كلمات غير مفهومة واستيقظ مذعوراً فتح عينه وجده أمامه مد إليه

يده قبلها ثم قال له بعد التحية اين هي! لقد ذهبت لقضاء بعض الشؤون؟

هيا ناولني المفتاح يا أبي لقد وصلت منذ مدة وأنا انتظر آه... يا بني لدينا مفتاح واحد وانت أدرى بشؤوننا سننتظر حتى تعود.

قال لأبيه: من ذاك الرجل الطويل العريض الذي طرق الباب منذ قليل.

قال له: هو صاحب المنزل يطلب مستحقات الكراء.

قال: وأين منزلنا؟ هل تم بيعه أين ثمنه.

قال له: تكاليف المحامي والكراء وقضاء شؤوننا العائلية.

لم يصرح لوالده بالمبلغ الذي استدانة حتى لا تصاوره الشكوك بأنه عاد لسابق مساره المظلم.

جاءت تلف الشارع بخطى متثاقلة والاعياء قد فعل فعلته بها. فهي جالت وصالت عدة أماكن تسمر جامداً في مكانه أوقفه مشهد التفكك الاسري والجفاف العاطفي والحالة المزرية التي يعيشونها، قبل يدها ورأسها، كان العرق يتصببُ على وجهها متخذاً خطوطاً ملتوية وسمرة بشرتها تحولت للمعان بفعل العرق. وقالت وهي تسترجع أنفاسها: لقد رجعت يخفي حنين قال لها: يا أمي لا تقلقي

سأتدبر الامر وتعرفيني سيد الرجال رسمت على محياها ابتسامة صفراء فرد بأخرى كحالها ففهم كل منهما الأخر. أما هو يجلس على حصير شبه بالٍ يندب حظه وواقعه البائس وما سببته له هذه المرأة الناشز رغم ظهور علامات الضعف الجسدي والعقلي لديها، والابن الذي كان حلمه فصار له مصدر إزعاج وبؤس وشقاء.

انفض جل أصدقائه من حوله وتقلصت علاقته الاجتماعية، وزيارة للأقارب نادراً ولا يجالسهم في أفراحهم ومآسيهم. فيمر عليه مرور الكرام وتقلصت شيئاً فشيئاً دب في نفسه اليأس ويفضل الوحدة بعيداً عن زوجته وابنه! اتخذ لغة عيون وكثر صمته. أما زوجته رغم حالتها البائسة فهي ما زالت على حالتها السابقة لم تتغير قيد أنملة طابع معاملتها الخشنة وعاطفتها الجافة وحبها الشديد للمال وهي في حالة الفاقة.

همس لأمه قائلاً: ابنك أصبح رجلاً تفاجأت وانبسطت بعض أساريرها لأول مرة، فهي دوماً مقطبة الجبين فقالت له: من تريدها عروساً لك!

قال: آه... يا أمي لم أفكر في هذا أصلاً.

وجم وجهها وتطاير الشرر من عينها على ضعفها وهن قوتها فقالت بلغة التهديد والوعيد وما يشغل بالك إذن!...

إنه ثمن الكراء الذي يؤرقكم وتهديد صاحب المنزل لكم: آه... أعرفك رجلاً هات المبلغ سيحضر غداً فنرمي له حجراً لعل هذا... يتوقف عن الن...ح . في الحقيقة لقد جمعت المبلغ المطلوب وزيادة لكنها جشعة تحب المال ومن أي مصدر كان؟

ساءت حالة الزوج وظهرت اضطرابات نفسية وأصابه اكتئاب وأصبح كلامه كله هذيان ويردد بعض الكلمات انعزل عن عالمه الخارجي تماما ويردد كلماته السابقة ويدور حول نفسه. فقد شعوره ووجدان كيانه، أصبح هزيلاً ضعيفاً لا يقوى على شيء، اتخذ من أحد أركان البيت مأوى له ومستقرًا.

***

غادر الابن بلا رجعة بعد أن بلغ خمسة وعشرين سنه بدأ يفكر في طريقه ليعيش حياته بعيداً عنهم، راودته فكرة الهجرة الى الضفة الأخرى، عَدَل عنها وقال في نفسه لماذا رفيقي لم يهاجر؟ وأصبح يملك عقارات وسيارات مختلفة ومحلات وأعرفه تمام المعرفة كيف كسب كل هذا!؟ سأل نفسه مرة أخرى عليّ أن أسلك طريقه مهما كلف الامر. اتصل بشلته السابقة ذوي السوابق العدلية. لم يستجيبوا

له وقال له أحدهم انا تركنا هذا النفق المظلم والمسار الخاطئ انتبه لنفسك، ولج لأحد المقاهي التي تعج بالزبائن ينتظر قد يجد ضالته من يكون شريكاً له في هذا المضمار والرواق المليء بالعقبات والمطبات والمخاطر في نهايته يعتبره هو مخرجه الوحيد لمحه صديق قديم له أيام الطفولة سلم عليه ثم قال مستغرباً هل تعرفني أجاب على الفور بلغة الأطفال هل نسيت يوم أن اختطفنا حقيبة يد من تلك العجوز ومُسِكنا ونهالت علينا الشتائم والسباب والضرب والرفص لن أنساه تذكر تلك الشجرة التي كنا نقف خلفها ونتربص بضحايانا. فهمت الآن، وماذا تفعل هيا انتظر أحد الأصدقاء لندخل مغامرة جديدة . حقا هل دخلت السجن نعم وخرجت منذ شهرين فقط . صاحبك لم يمسكوه في تلك المرة، وهل تذكرت صاحب البدلة الرياضية الحمراء نعم إنه الذي يحادثك... هيا لنشرب قهوتنا ونبدأ من حيث انتهينا ولكنها تختلف عنما سبق فنحن كبرنا وأن تكون وجهتنا وأعمالنا أكبر. إذن فلنشكل عصابة... هههه

يمكن بذكائنا وفطنتنا . نمسح الموس في غيرنا . ولا نظهر في الموقع الخطأ بل نستفيد ونقود المجموعة من وراء الستار ونعطي لهم الفتات وتهديدهم بكشفهم للشرطة إن أبو ذلك. يا لك من صديق بارع، منذ مدة وجدت أحد

الرفقاء يقود سيارة فاخرة وساورني الشكوك حول هذا التغيير. أضنك نسيت مجموعتنا السابقة فهو أحدنا، لنتبع نهجه في خطته للثراء الفاحش والترف، أصبحت النظارات السوداء لا تفارقه إلا عند النوم.

شكل عصابته وأعطى قيادتها لصديقه حتى لا يظهر في المشهد الاجرامي. عرف بصاحب النظارات السوداء. أما هو يظهر كأنه رجل قوي يرهب الناس حيث كان مفتول العضلات وقليل الكلام سمته الاعتداء والتهجم على الآخرين كل أعماله ظاهرة ليبعد الشك عنه ومساره الاجرامي وتجارة المحظورات وقيادته المتخفي وراءها أصبح منبوذ لدى محيطه الاجتماعي لمعاكسته وأصبح معروفاً لدى الشرطة بالرجل المجرم ذي النظارات السوداء.

كان يعرف كل صغيرة وكبيرة عن عصابته، حيث استخدم بعض أفرادها بإغرائهم لزيادة المال لديهم لتتم المراقبة عن قرب دون علمهم.

بدأ السطو عن المنازل والمحلات التجارية وانتشار قطاع الطرق، كل هذا وهو يظهر للعلن كأن الامر لا يعنيه كثفت الشرطة دورياتها وحملاتها الأمنية للبحث والتحري للوصول للعقل المدبر لهذه الاعمال الاجرامية، فبثت بعض عملائها

لتتبع... صاحب النظارات السوداء أو في يسمى "الرجل المجرم".

رواق الانهيار

تساقطت أوراق الخريف وذهبت معها كل الاواصر العائلية، الابن اختفى عن الأنظار ونادر الظهور وإن شوهد فهناك مشكل قد وقع اعتداء تَعَدٍّ انتهاك حرمات والاستيلاء على ملك الغير، لقد كان آخر لقاء مع والديه عندما قال لهما: إني رجل أملك حريتي ولست بطفل صغير حتى تملوا عليا ما أفعل، ولن أعيش معكم في هذه الحالة المعدمة سأراكما لاحقاً، وأشار لهما بيديه كأنه الوداع الأخير وهو يحدث نفسه لأنه ملاحق عليه التخفي والحذر والتمويه الذي أجاد فنونه.

الكارثة أن الزوجة اختلت في عقلها وأصابها بعض الخرف فخلعت نفسها وقطعت صلتها بزوجها، أما الابن فدخل عالم الخطيئة والاجرام من أوسع أبوابه حيث تشعبت عمليات عصابته وانتشرت كالنار في الهشيم وأصبحت حديث العام والخاص.

تشتت شمل الاسرة وانهارت أصبح الزوج بلا مأوى وحالته الصحية والعقلية غير طبيعية فيحن عليه بعض المارة وهو منزوي في الطريق العام متسولاً! أما الزوجة

فأدخلت لأحد مراكز الايواء للمسنين، وفاقدي السند رغم ضعفها وهزالها الآن انها ما زالت تصرخ ولا تتوقف حتى الاعياء وتصمت كصمت القبور ثم يتكرر صراخها، عزلت عن بقية النزلاء في غرفة خاصة.

حل فصل الشتاء ومعه تغير المناخ وأصبح بارداً ليلهُ طويلُ تكوم في أحد الزوايا فراشه كرتون وغطاؤه مهتري مرت حملة لجمع المشردين فأخذوه الى مركز إيواء ثم تحويله الى مركز المسنين لتقدمه في السن، فقد جزءاً من ذاكرته الا سرد حياته التي كان يلقيها على مرتادي المركز لا شعورياً.

***

ظهرت مؤشرات لدى قوى الامن أن هناك عصابة قائدها غير معروف وهي تقوم بهذه الاعمال التخريبية والاجرامية وتروع الناس. حامت الشكوك أن القائد هو صديق لصاحب "النظارات السوداء"، فقامت بحملة واسعة أمنية متخفية مدنياً لتتبع رفقاء وأصدقاء "صاحب النظارات السوداء" أو كما تسميه الشرطة "الرجل المجرم".

ساوره اليقين بأن الخناق قد بدأ يقترب منه وأن حيل الجريمة سيلصق به وستوجه له كل التهم وتنسب اليه

ابتكر حيلة، كتب رسالة وأرسلها لهم، ووضع خطة فقام بتقسيم مجموعته الى اثنين ووضع صديقه قائداً.

أوهم الشرطة بأن العصابة موجودة في الشقة خمسة في الشارع رقم خمسة بقيادة أكبرهم سناً، طوق المكان في حدود الساعة الثالثة فجراً تسلل بعض أفراد الأمن الى العمارة ثم الى الشقة التي كانت فيها إضاءة خافتة. فكلهم في نوم عميق عدا واحد وهو قائدهم الذي أنهي لتوه مكالمة مع صديقه؟ يحذره من الوقوع في فخ وشباك قوات الامن. أطل من الشرفة الإضاءة العمومية تظهر كل ما في الشارع لاحظ في إحدى الزوايا جزءاً من سيارة بيضاء مركونة وبداخلها شيء يتحرك.

***

أصبحت النزيلة تصرخ ورغاء أبيض يتطاير من فمها رغم بعض المهدئات التي تقدم لها حيث لا تمر فترة وجيزة فتعود لحالتها لقد اتعبت كل من في المركز زيادة على صراخها وكثرة حركاتها رغم ضعفها بدأوا يفكرون في تقييدها لم يجدوا معها ما يثبت هويتها فأطلقوا عليها اسم السيدة "ص" لكثرة صراخها وضعوا في معصمها رباطاً لشدها في نفس المكان سواء في غرفتها أو الساحة، ساءت

حالتها أكثر تغير الصراخ الى نداء حيث تكرر نفس الاسم دوماً.

تنزوي دوماً في نفس الجهة حركاتها متغيرة تنبش في الأرض كأنها تبحث عن شيء ما ثم تنادي كالعادة مكررة نداءها ترمق الجميع بعيون ذابلة لا تقوى على التركيز لرؤيتهم.

بعد أن أصبح نزيلاً في مركز المسنين تغيرت حالته بعض الشيء بوجود الرعاية والاهتمام بالمرافقة النفسية والعلاج الطبي، فقد ذاكرته الا من سرد قصته ودأب على ذلك كلما التقَى بالنزلاء أو أي شخص داخل المركز نظراً لأنه ما زال يملك قوة عقلية وذاكرة قصته فرواها لأحد الأطباء المعالجين وكان مهتما بكذا قصص فقام بتسجيلها وعند انتهاء دوام العمل فكر أن يضعها أحد فصول عمله الذي هو منكب عليه فعنونه ب: خريف العمر... ظهر العجز جلياً لأنه لم يعد قادراً على المشي الا بالمساعدة فسلمت له عصاً.

***

أحس بحركات أرجل تتقدم وهي صاعدة على السلم، ما زال صدى كلمات صاحبه يرن في أذنه وهو يحذره... أصبحوا على وشك الوقوع في أيدي الامن واكتشاف عناصر المجموعة. أيقظ مجموعته وقبل تنبيههم بالخطر المحدق

بهم، سمع وقع اقدام تقترب أكثر فأكثر من الباب لاحظت عليه المجموعة ذعر وحركات توحي بأمر جلل طرق الباب فتح عنوة تسمر بعضهم في مكانه ومنهم القائد أما الاثنان الآخران كان مصيرهم الموت المحقق في عين المكان عندما أرادا الهرب والنزول من النافذة حيث سقطا أرضاً، اقتيد الجميع ووضعوا في سيارة الشرطة ليودعوا في أحد المراكز ثم التحويل السجن.

شاع بين الناس أن العصابة التي كانت تروع وتعتدي وتستولي على ممتلكات الناس أصبحت في قبضة الأمن فتنفسوا الصعداء!؟ ولج صاحب النظارات السوداء إلى أحد المقاهي دون أن يشعر به أحد فسمع مرتاديه يتحدثون عنما قامت به الشرطة الليلة الماضية.

لاحت بين شفتيه ابتسامة صفراء ماكرة ثم أطلق قهقهة قبل أن يقف مهدداً الجميع عم الصمت وانتاب الخوف بعض الزبائن حين أشهر مسدسه في وجوههم، تناول فنجان قهوته ثم رماه أرضاً ليحدث صوتاً وينصرف ليختفي عن الأنظار خوفاً من وقوعه في شراك الامن.

ساءت حالتها أكثر فقدت ذاكرتها توقفت عن الكلام وقلت الحركة لديها. هدأت وسكتت الا من حركة شفتيها

البسيطة فقدت البصر حولت إلى الاستعجالات لتدهور وضعها الصحي.

كانت حركاته ثقيلة وبقي يلف الساحة بصعوبة يمشي أحياناً ويجلس تارة أخرى، دون أن يتوقف عن سرد قصة حياته، تحسنت حالته رغم تقدمه في السن . أدرك المكان الموجود فيه . كثرت أسئلته وطلب من إدارة المركز تركه لحاله ليذهب الى أسرته زوجته وابنه، أشفق عليه الجميع!... فقال له أحدهم: هل تعرف أين توجد أسرتك؟ قال: لا.

رد عليه إذن أبْقَ معنا حتى يأتي من يبحث عنك . كانت يداه ترتعشان وشفتاه كثيرة الحركة وكلماته يخرجها بصعوبة ويتلكأ فيها.

وضعت على سرير متحرك لأنها أصبحت لا تقوى على الحركة بعد فحصها أدخلت غرفة الإنعاش للعناية المركزة. بعد ثلاث أيام نشرت بعض الصحف خبر وفاتها ووضعت صورة لها ليتعرف عليها أهلها لدفنها، مرَّ أسبوع للانتظار ثم أقيمت لها جنازة وسجلت في عداد الوفيات المنسيين . هكذا طويت صفحة من صفحات الذاكرة السيئة للزوج.

المنبوذ

ازادت الشكوك حوله بأنه هو الرأس المدبر، كان ظهوره متخفيا ومتنكرا دوما، وقع بصره في صحيفة على اعلان وفاتها اقتناها ثم اختفى.

انزوى في مكان مهجور قرأ الإعلان ركز في الصورة تأثر ثم سقطت دموعاً بللت الصحيفة أخذ نفساً عميقاً أشعل عود ثقاب في الصحيفة.

أقيم حاجز محكم وتأكدت قوى الامن من القائد الحقيقي الذي بث الرعب والسطو على الممتلكات إنه صاحب السوابق الذي حكم بثلاث سنوات سجن ثم أطلق سراحه . توصلت المجموعة المكلفة بالقبض عليه إلى أحد الافراد وهو متلبس بجرم، دلهم على مكان وجوده.

وصلوا إلى المكان المهجور لاحظوا دخانا خفيفا يتصاعد من إحدى الزوايا اقتربوا أكثر طوقوه من كل الجهات تقدم اليه القائد قائلاً، سلم نفسك طوعاً والا... اظهر انه مستسلمُ وعند الاقتراب منهم أراد القرار فسقط أرضاً لتعثره بجدار مهدم. وضع القيد في يديه ثم أودع السجن المؤقت قبل إجراءات المحاكمة.

تناولت المحكمة القضية في جلسة خاصة ووجهت التهم المنسوبة اليها لم ينكرها، تمت المرافعة والمداولة فحكمت عليه المحكمة تخفيفا عشرة سنوات سجناً نافذاً.

عادت الزوجة الأولى لبعض من عافيتها وحنت لأيامها الخوالي فقالت لأخوتها أين زوجي أريد أن أراه أم هو في عداد الموتى هيا نذهب لنزوره ونقرأ عليه الفاتحة.

قال أحدهم، كل شيء انتهى معه فلا تفكري فيه لقد نسى العشرة وكفر بها، وها هي وثيقة الطلاق الذي مرت عليه كل هذه السنوات.

قالت لهم: مستحيل أن يتخذ هذا الفعل بل هو بسبب زوجته الثانية التي تركته يقوم بفعله السيء، ابحثوا عنه وستعرفون كل شيء وسأنتظره! لنجتمع في سقف واحد من جديد.

خرج بخطوات متسارعة يحمل على ظهره حقيبة، لم يعر أي اهتمام للمتواجدين على كثرتهم، وما صاحبته من أصوات متعددة ومتداخلة وزغاريد تكمل المشهد آه... لقد ورث كل الطباع عن أمه . ابتعد قليلاً ثم توقف والتفت خلفه وتمتم بكلمات محدثاً نفسه، وواصل مسيره غير عابئ بأحد لوح بيده إشارة تنم عن السوء.

اقترب من مشارق حبيبته الذي نشأ وترعرع فيه؟ لقد تغير شكل وهندسة طرقات وأرصفة محلات وأبراج سكنية . الا لبعض الاطلال لبيت مهدم . تفحص الوجوه لعله يتعرف على أحد منهم مرتديا نظارته السوداء التي تميزه ووجهه الممتلئ المستدير بأنف صغير وبنيته الجسمية القوية وقامته القصيرة، لم يعثر على أحد.

أدخل يده في جيبه وأخرج بعض القطع النقدية ثم ولج الى مقهى تعوّد على ارتياده الموجود في الشارع الرئيسي معروف بمقهى "عمي محمود" جر طاولة وأحدث صوتاً مزعجاً ثم جلس ووضع حقيبته على الطاولة مراقباً لداخل والخارج من الزبائن تناول منديلاً ورقياً ليمسح العرق المتصبب على جبينه . لأنه قطع مسافة مشياً على قدميه حتى وصل للمقهى . نزع نظارته السوداء فشاهد لوحة ثانية علقت بجوار السابقة عليها صورة صاحب المقهى . ومقعد التخليص يجلس عليه شاباً وأما عماله فقد تغيروا، نفذ دخان سيجارته أمامه.

توجس منه بعض الزبائن المعاصرين له قبل عشر سنوات مضت، ونظراتهم دالة على ذلك، ومن شدة هلع وخوف أحدهم سقط فنجان القهوة من يده أرضاً وكاد أن يغمى عليه . تذكر الطعنات واللكمات والرفس من قبل . بدأ

مرتادي المقهى في الانسحاب والهروب أما البقية لم تهتم بهذا الزبون، صاحب النظارات السوداء ولم يشغل بالهم.

اقترب منه نادل المقهى وقال له: طلبك سيدي، فأشار عليه أحدهم تعال وخذ هذا وأوصله له.

الساعة تشير الى منتصف النهار ودرجة الحرارة مرتفعة والمقهى شبه خالٍ. الا من هم خارج المدينة ويتأهبون للذهاب لحالهم وصاحب النظارات السوداء. زاد القلق والخوف والاضطراب من هذا الزبون الثقيل وهم يتمنون أن يتحرك وينصرف . في قرارة نفسه متأكد أن الجميع في انتظاره للمغادرة . أراد أن ينكد عليهم وضع رجليه فوق بعضهما على الطاولة ونفث دخان سيجارته قبالتهم ثم رمى ما بقى منه على الأرض بعد أن بزق في وجوههم، بحركة تهكم وسخرية واستفزاز، عدل جلسته ثم طلب بإشارة قارورة ماء وقام من مكانه واضعاً نظارته السوداء على رقبته بأسلوب ساخر ومستفز حمل حقيبته على كتفه وأدار لهم بظهره، قبل المغادرة قام بحركة بهلوانية لإغاظتهم فوضع المخلفات الموجودة على الطاولة أرضاً وتعمد تكسير المقعد، فأضحى المكان كأن شجار بين الزبائن وقع منذ لحظات، ثم تناول أحد أرجل المقعد ورماه على زجاج الواجهة الامامية فأحدث فيه خدشاً كبيراً، قطف من

مزهرية في المدخل وردة وسحقها تحت قدميه شاهده بعض المارة فأثار حفيظتهم وتقدم أحدهم كي يثنيه على فعلته فلكمه على وجهه فأغمي عليه ثم ركله برجله في الطريق حتى كادت سيارة أن تدهسه.

اختفى عن نظرهم تنفسوا الصعداء.

الربيع السار

استقرت الزوجة الأولى في بيت أخوتها واحاطوها بالرعاية والاهتمام والحنان والعطف بعد أن كسر خاطرها في وقت ماض وهم شهود على ذلك، رغم أنها لا تذكر شيئًا من هذا كله لفقدها ذاكرتها مع أنها دائما تنادي باسمه بكلمة غير مفهومة وكذا كلمة سأنتظره!! قل الكلام لديها وعند نطقها تختلط الحروف ويتغير موضعها كطفل صغير يتعلم النطق، أصابها بعض الخرف كل خيال يقترب منها تحسبه زوجها؟! حركتها بطيئة وهي تحبو نقص نظرها ولو باستعمال النظارات الطبية.

اجتهد أخوة الزوجة كثيراً لرد الجميل له، فقد كانوا صغاراً ووالدهم على كبير سنه كان دوماً يذكره بالخير مع أختهم، رغم التهكم الذي يلقاه من أمهم لأنها جشعة وأنانية عبدة للمال ودليل ذلك الاستيلاء على أموال والدهم قبل وفاته لتحرمه حتى من التصرف فيه، وانفاقه على الفقراء والمحتاجين وكان دوماً يتمنى ذلك!

أثمر بحثهم أخيراً على ملف زوج اختهم في أحد المراكز العجزة والمسنين، تقدموا بطلب للتكفّل به لجعله أحد أفراد الاسرة فهو شيخ هرم وملأت التجاعيد وجهه ومرفقية واستعمل عصاً للمشي وضعف بصره كثيراً ولحيته كثة بيضاء فحققوا أمنية أختهم ليجمعهما في سقف واحد في الظاهر.

أضحى الزوجان؟ يعيشان معززين مكرمين في بيت أخوتها وعمت الالفة والمودة بين الاخوة فأزهر ربيعها فأطلقوا عليه بـ "الربيع السار" تيسرت أوضاعهم الاجتماعية والمادية وأنجب أخوهما الكبير ولد سماه باسم جده" إسماعيل" عمت الفرحة والسرور.

أما الزوجان فلا يعرفان من الامر شيئًا، فهما مرا بأيام عصيبة ومأساة حقيقية تركت بصمتهما على حياتهما فأخفت لهما كل شيء جميل، الزوجة الودودة المرحة الصابرة الاصيلة كانت شخصيتها عاطفية سريعة التأثر فأدخلها في دوامة، وزوجها الذي قام بالمستحيل ليسعدها ويلبي رغبتها ولكن قدرها انها عقيم كما قال له الطبيب في أول الطريق. الا أنه أصر على علاجها لحاجة في نفسه وحبه وتعلقه بها، فكان أصيلاً لا يتردد في سعادتها وراحتها بأي ثمن كان: فبادلته نفس الشعور ومحبة متبادلة، وفي نهاية

المطاف تبنى طفلة ليغير مجرى حياتهما وتعيش أياماً حلوة وتذوق بعض الطعم للأمومة، فتدخلت يد الحقد والكره لتقلب حياتهما رأساً على عقب . عيرت بالعقم وأنها امرأة طبخ وتنظيف ودواءها أخرى تنجب له الولد!.

حيث طلبت منه إحدى القريبات الزواج من امرأة ثانية بعد تعسر الحياة مع الأولى ونعتتها بالجنون!.

كان زواجه من الثانية سماً على عسل نعم أنجبت له الولد وحمل صفاتها وطباعها وانحرف في بداية حياته نتيجة لتربيتها الخاطئة وتركه على هواه رغم تحذيرها من طرفه بين الفينة والأخرى، لكنها خالفته وعصت أمره وتركته يعيش في غابة وحوش بشرية.

تاه في المدينة ينتقل بين الاحياء والمقاهي، تحركت فيه نوازع الخير، بحث عن عمل يسد به رمقه، ابتعد عن حييه الذي نشأ فيه وما زالت أثاره النفسية لديه وساكنته، ويبني لنفسه حياة جديدة بعد أن قارب سنة العقد الرابع. اشتغل طباخاً في احدى المطاعم لحبه وإجادته فن الطبخ انتعش داخل المطعم زادا مرتاديه منذ أن جاءه هذا الطباخ، هكذا قال صاحبه، فكافئه برفع أجرته وطلب منه الإقامة في أحد غرف المطعم، فتحت له الدنيا ذراعيها حيث أصبح المعلم الثاني في كل الاعمال والطلبيات. ازدهر

واشتهر المطعم وانهالت عليه عروض عمل وفرص أخرى للانتقال ومنها عرض مُغْرٍ مع شركة مرموقة قبل بالعرض.

أصبح رجلاً خيرياً يساعد المحتاج والفقير فكر مليئاً بالزواج رغم بلوغه سن الخامس والأربعين قال عليا بالاستقرار وبناء أسرة طرح السؤال وقال: من تقبل بي وعضَ شفتيه كأنه نادم يستذكر ماضيه، اقتنى مسكناً وبدأ يبحث عن امرأة للزواج. كلنا لا نعرف الاقدار كيف تمضي قد تلتقي المتناقضات وتختلف التجاذبات استمرت رحلة البحث قرابة الشهر، فأطل الامل برأسه دون عناء.

لمح شيخاً وقوراً صامتاً يجلس على مقعد خشبي قليل الحركة ترافقه الا عصاه تجالسه وهو يحاكيها بحركات أمامه عندما كان ماراً في إحدى الشوارع، فأوقفه المشهد وجه له التحية لم يرد ويلتفت اليه كررها ثانية ثم مضى لحاله. توقف وتسمر في مكانه يسترجع بعض الذكريات لعلها تدله احداها عليه، رجع مسرعاً خلفه، اختفى الشيخ ولم يكن خلفه باب، احتار في أمره لمعرفة أين دخل. طرق أول باب خرجت له امرأة في بداية عقدها الثالث وقالت له ماذا تريد؟ تلكأ ثم قال: هل الشيخ الذي شاهدته منذ قليل . أحد أفراد أسرتكم قالت نعم ولماذا أثناء هذا الحوار

السريع وهي مرابيه الباب تدخل أخوها الكبير هي أدخلي سأتعرف عليه.

جلس في غرفة الاستقبال . توسم فيه خيراً فوجهه يشع نوراً وكلامه موزون ويتحدث بأدب . قال له: لماذا تسأل عن أبينا تعرفه أم لك صلة به.

أجاب: صدقني مررت عليه ثم رجعت لقد تذكرت بعض ملامح والدي، فقلت ربما يكون هو أبي.

حكى له قصته من بدايتها الى نهايتها وهو مشدود اليه ويصغي كأن كنز قد تحصل عليه وأخيراً قال له: آه.. لقد وصلت الى مبتغاك نعم إنه والدك. سالت دموع منهمرة على وجنتيه وكلامه مخنوق وهو يتحسر على حياته على اضاعتها وتشتت بها شمل والديه رغم المنغصات.

فقال له: مازال الخير في هذه الدنيا ثم أردف قائلاً: لقد أصبح والدك شيخاً هرماً وذاكرته نقصت أما أختنا فقد أصرَت على رجوعه وعودته لوفائها وتعلقها به. رغم ما لحقها من أمك وتسببت له من مآسٍ وظلم لكنها لم تنسَ عشرته ومودته في بداية حياتهما . فجمعناهما في سقف واحد بعد كل ما تعرضوا له.

قال معاتباً نفسه ليتني عرفتكم من قبل. حتى لا أصل لمساري المليء بكل العقبات والمطبات المتكررة.

قال له: كيف تعيش الآن؟ وماهي وضعيتك الاجتماعية!

قال: الحمد لله تيسرت حالتي لكن.

قال له: هذا هو القدر الذي أخذني للبحث عن امرأة شريفة طاهرة عفيفة تشبه زوجة أبي.

قال له: مبتسماً أبشر لقد وجدت ضالتك.

قال: هيا لنذهب اليوم قبل الغد.

بعد استراحة قليلة قدم له ما تيسر طلب المغادرة لأنه حان وقت شغله على أمل اللقاء غداً.

عاد لبيته وحيداً والغصة في حلقه على تركه والده طمان نفسه بأنها أسرة كريمة وهم لبوا طلب أختهم. تمدد على سريره الخشبي سرد أحلامه المستقبلية وتصورها ووضع خياله ثم راح يغط في نومٍ عميق.

ذهب مبكراً لشغله في الشركة وملامح وجهه تغيرت كثيراً . من مجرم ملاحق الى رجل مسالم كريم مبتسم . علت على محياه الفرحة والسرور ، وينتظر المساء بشغف كبير.

غمرتهم الفرحة لتغير حاله وتوبته عن أفعاله السابقة ورجوعه الى جادة الصواب، واتفقوا لمساعدته لبناء حياته من جديد وأولها اختيار زوجة تناسبه وفي مثل مقامه.

قال الأخ الأكبر: لي صديق له بنت محترمة وتقدر الحياة الزوجية ومتفهمة لا أظنهم يرفضون هذا الطلب.

هاتف صديقه في الموضوع فقال له وكيف أرد لك طلباً إذن مساءً سوف تأتي للتعارف، على الرحب والسعة أهلين وسهلين.

استعارة سيارة الشركة بعد طلبه من مرؤوسه ذهبوا الى بيت العروس استقبلهم والدها ببشاشة وحرارة التحية فتوسم فيه خيراً، بعد التعارف كان الرد بالإيجاب والقبول.

تم الزواج، فطلب منهم أن يأخذ والده ليعيش معه فرفضوا رفضاً قاطعاً وقالوا له: هي وصية أختنا على الحياة أو الموت وزره في أي وقت تشاء.

هكذا أزهرت الحياة وتوسعت الالفة والمحبة بين الجميع وسرت العائلات وتكاتفت والتقت على الخير والتعاون، فسمت بالأخلاق الفاضلة وانتشر الود والاحترام المتبادل فعاش الجميع في ربيع سار.

الفهرس

-الإهداء
-الحالمان
-رحلة الحُلم
-قرة العين أو الحُلم
-الإعصار الدامي
-رحلة العُمر
-الدفء المفقود
-رواق الإنهيار
-المنبوذ
-الربيع السار